الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس المدية

كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

رؤية العالم عند مالك بن نبي في رواية "لبيك حج الفقراء"

تخصص: ثانية ماستر نقد حديث ومعاصر

إعداد الطّالبتين :

- طريفي فريال
- شروقي نجاة

إشراف الأستاذ:

- ناهلية مسعود

الأمانة العلمية تتحملها الطالبتين

السّنة الجامعيّة: 2020/2019


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من لا يمكنني أن أجزي فضلهما والدي الكريمين.

إلى خمسة في قلبي، حفظهم الله، إخوتي الأعزاء.

إلى كل الأحبة والأصدقاء وخاصة منهم: يسرى ونادية وفاطمة زهراء.

إلى كل الأساتذة الذين كان لهم الفضل في تكويني وتعليمي وإرشادي منذ الفترة الابتدائية إلى يومنا هذا.

إلى كل من كان عونا لي في بحثي هذا من قريب أو بعيد.

فريال طريفي

إهداء

وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها بعد تعب ومشقَّة..

وها أنا ذا أختم بحث تخرُّجي بكل همَّة ونشاط..

وأمتنُّ لكل من كان له فضل في مسيرتي..

وساعدني ولو باليسير..

الأبوين، والأهل، والأصدقاء، والأساتذة المُبجَّلين..

شروقي نجاة

كلمة شكر وعرفان

نتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذنا الدكتور "**ناهلية مسعود**" لتسييره لنا عقبات البحث الذي لم يتوان عن مساعدتنا ونشكره على كل دعم وجهد بذله معنا طوال هذه الفترة.

كما نتقدم بجزيل الشكر للجنة المناقشة لتفضلهم بالموافقة على مناقشة هذه الدراسة المتواضعة

فريال ونجاة

مقدمة

مقدمة:

تعني رؤية العالم البحث عن الوعي بمختلف مظاهره لدى الشخصية الإشكالية، كما يراها "لوسيان غولدمان"، فالوعي في الواقع يعني القدرة على تصور حيثياته وربطها بمصير العالم سوآءا كان شخصية أو مجموعة، ورؤية العالم يعني البحث عن قيم المجتمع الضائعة في دروب التدهور الاجتماعي، كما يوحي بالاغتراب وسقوط الحلم وغلبة الوهم، كما يثير الوعي إلى التشيء الذي هيمن على الانسان الانتهازي الانفصالي عن هموم الجماهير وتتبع رؤية العالم من الشخصية الثائرة التي استعاضت عن الماديات بالرؤية الفكرية الحضارية التي تتجاوز الواقع إلى حفريات الحلم.

ومن هنا كان موضوع مذكرتنا حول "رؤية العالم عند المفكر الجزائري مالك بن نبي" الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بوعيه الذي كان سباقا بأفكاره الرائدة في الواقع الجزائري الذي هيمنت عليه الدوغماتية الكولونيا لية.

وبالنظر إلى حيثيات رواية" لبيك حج الفقراء" الذي مزج فيها رؤيته الاجتماعية الاسلامية بالواقعية الاجتماعية، التي تتطلع إلى العدل الاجتماعي والانعتاق من كوابيس الدونية في ظل الاستعمار الذي شوه أخلاق المجتمعات بأفكار وممارسات تتفانى وأصالة المجتمع الجزائري.

التي تنبأ لها "مالك بن نبي" حين جعل من تلك الشخصية المهمشة الضائعة بين الخطر والمجهول إلى انتشالها وتخليصها وتطهيرها.

بالعودة إلى المنابع الأولى عبر رحلة الحج كما صورها الكاتب في روايته" لبيك حج الفقراء".لتُبرز قصة أغلى رحلة في قلوب المسلمين وهي رحلة الحج ، والتي تميزت ببساطتها وعفوياتها . إنها رحلة دينية للتطهير و التغيير مليئة بالمشاعر والأمل.

ومن بين دوافع اختيارنا روايته "لبيك حج الفقراء" هو اهتمامنا الخاص بالمفكر"مالك بن نبي" نظرا لتفرده وتميزه بأفكاره ،بالإضافة إلى قلة الضبط في الربط بينها وبين مشروع "بن نبي" الحضاري

وتدرس كما تدرس الروايات الأخرى بحبكاتها الفنية وتسلسل أحداثها،ويفهمها بمنظور مفصول عن كاتبها ومراده وأماله قد لايتوانى أن يعطيها حقها..غافلا عن أبعادها الحضارية العميقة. وهو ماجعلنا نكتب عنها بأدوات الناقد المعاصر–بحكم التخصص– وإعادة مكانتها كجزء لايتجزء من بنائه الفكري في(سلسلة مشكلات الحضارة) .

تحققت رغبتنا الملحة في الكشف عن موقف ورؤية الكاتب في الحياة عامة وفي حياة المجتمع الجزائري المسلم خاصة. إبان الحقبة الاستعمارية، وكيف بنى شخصياته المتعارضة بين سكير وتقي، ليوضح مدى قدرة المرء بالرجوع إلى مبادئه وقيمه مهما طالت مدة انحرافه.

ومما لا يخلو منه أي مسار للبحث والدراسة هو تلك الصعوبات التي تعرقل الباحث والتي كان لنا نصيب منها، ومن أهمها أن الدراسات السابقة التي عالجت هذا الموضوع قليلة بالإضافة إلى الوضع الصحي الراهن والذي أثر على سيروة بحثنا.

وتقوم دراستنا على اشكالية مركزية نبرزها في التساؤل التالي:

كيف رسمت الرواية عمق الروح الجزائرية وشخصياتها المنتمية إلى تراث الثقافة الجزائرية والحضارة الاسلامية؟

هل استطاع الكاتب أن يخلص شخصياته من دونيتها؟ وهل كان "بن نبي" الكفاية الأدبية مثل ما هو الأمر في الكفاية الفكرية عنده؟ لماذا كتب "بن نبي" مثل هذا العمل الذي يغرق بالبساطة والعفوية ،بقدر مايغرق بالعمق والتأمل؟و أي مقاصد هي التي يريدها "بن نبي" أن تصل إلى قارئه عبر هذا الأسلوب الأدبي الذي لم نعهده عنده؟

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج البنيوي الغولدماني واصفين محللين الرواية مبرزين مكوناتها الدلالية متتبعين البنية الشكلية والبنية الموضوعاتية للوقوف على رؤية الكاتب الفنية والفكرية.

وبناءا على ما سبق ارتأينا أن نقسم بحثنا إلى:

مقدمة وثلاث فصول وخاتمة

الفصل الأول: المعنون بالمنهج البنيوي التكويني ورؤية العالم وقسمناه إلى أربعة مباحث:

أ- مصطلح الرؤية ورؤية العالم

ب- منهج لوسيان غولدمان

ج-الأسس المرجعية للمنهج البنيوي التكويني

د- أليات المنهج البنيوي التكويني

أما الفصل الثاني: وكان عنوانه النسق البنائي في المنهج البنيوي اندرج تحته مبحثان تناولنا في المبحث الأول بنية الشخصية ، مفهومها لغة واصطلاحا ،بالإضافة إلى تحليل الشخصيات المندرجة في الرواية ثم إعادة بناءها وفق منظور رؤية الكاتب.

أما المبحث الثاني فقد خصصناه لدراسة المكان وتطرقنا فيه إلى المكان وأهميته،وعلاقة الشخصية بالمكان.

الفصل الثالث وهو الفصل التطبيقي ويقوم على دراسة سوسيو نقدية لجوانب الحياة الاجتماعية والدينية.وتشكل من مبحثين، تناولنا في المبحث الأول ،القيم التي دافع عنها الكاتب وصور الانحراف والضياع في الرواية أما فيم يخص المبحث الثاني تناولنا فيه موضوعاتية الرواية

ورؤية العالم عند مالك بن نبي.

وفي الخاتمة أجملنا أهم النتائج التي توصلنا إليها عبر هذه الدراسة.

وفي ختام هذا البحث نتجه إلى الله عز وجل حامدين شاكرين على ماوفقنا إليه في إتمام هذه الدراسة .

وإن من الاعتراف بالجميل ،أن نتوجه بالشكر إلى أستاذنا الفاضل "**ناهلية مسعود**"على ما أسداه لنا من نصح وتوجيه لتصويب عملنا،كما نتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذا البحث المتواضع، ونرجوا أن يكون لبنة تضاف إلى اللبنات السابقة في مجال الدراسات الأدبية وخاصة منها النقدية. ونعتذر إن قصرنا في بعض النقاط، فالكمال لله وحده.

الفصل الأول:

البنيوية التكوينية ورؤية العالم

I/مصطلح الرؤيا ورؤية العالم:

1-مصطلح الرؤيا

أ-**لغة:** ان مصطلح الرؤيا في الاستخدام اللغوي يشير إلى ما يرى في المنام ،فلفظة رؤيا تعني مايراه النائم في المنام ،وجاء فيما تراه في اليقظة ،وجمع الرؤيا ً(رؤى)،أما الرؤية فتكون بالعين وبالقلب ،والرئاء تعني كثير الرؤية [1] وعليه فإن الفرق الواضح بين الرؤية والرؤيا في المعاجم، وفي القران الكريم وردت الرؤيا بمعنى الحلم ايضا، قال تعالى ً:«قد صدقت الرؤيا إن كذلك نجزي المحسنين»[2]

هذا وقد ميز الإسلام بين الرؤيا الصالحة، والرؤيا السوء، فقد جاء في الحديث الشريف :« الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان.»[3]

كما ارتبطت الرؤيا الصالحة بالإيمان,«رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة.»[4]

وقد ورد في القران ذكرها اكثر من مرة في قوله سبحانه وتعالى:« وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن.» [5]

وقال ايضا في سورة يوسف :«إن كنتم للرؤيا تعبرون.»[6]

---

[1] قاموس المحيط ،الجزء الرابع ،(مصر)،ط2، ص195

[2] القران الكريم،سورة الصافات ،الآية 105

[3]صحيح مسلم الجزء الرابع، احياء التراث العربي،(بيروت) ط2،1972.،ص1772

[4] صحيح مسلم ،ص 1773

[5] سورة الإسراء، الآية 60

[6] سورة يوسف، الآية 43

ب-اصطلاحا: غير أنّ مفهوم الرؤيا ظلت تشوبه غمامة من اللبس والغموض رغم محاولة عددٍ من النقاد تحديد مفهوم واضح لهذا المصطلح من خلال تجلياته في الأعمال الفنية،كما حاولوا توضيح دلالاته ومعانيه وقد ظهرت اهتمامات موزعة تمثلت في جهود النقاد والأدبيين،لكشف معانيه، مما جعل هذه الدراسة تسعى إلى تقديم مفهوم واضح للرؤيا من خلال البحث في مجموعة من الآراء النقدية العربية المعاصرة ومحاولة توضيح مضامينها وتقصي دلالاتها .

:«أما فيم يخص الرؤيا من حيث هي كشف، فنرى أن "أدونيس" من أبرز النقاد الذين اهتموا بالرؤيا من هذا الجانب، ويذهب "أدونيس" إلى أن الرؤيا وسيلة الكشف عن الغيب، إذ يكشف الغيب للرائي فيتلقى المعرفة كأنما يتجسد له الغيب في شخص ينقل إليه المعرفة، ولا تحدث الرؤيا في حالة انفصال عن المحسوسات، ويحدث الانفصال في حالة النوم، فتسمى عنده حلما.

ويعرفها "أدونيس" في كتابه الثابت والمتحول:«أن ترى في الكون ماتحجبه عنا الألفة ،والعادة أن تكشف العالم المخبوء أن تكشف علائق خفية.»[1]

أما الدكتور "محي الدين صبحي" فيرى أن الرؤيا :«هي نظرة أو صورة إلى العالم أو تبصرا في مصير الانسان، أو كل ما هو تعبير من الكاتب عن قسم من فلسفته للحياة في قصائد وهو تجربة جمالية تعتمد على تنامي استبصار القارئ في هذه الحياة بغية التماهي النهائي مع وعي الشاعر، وعليه فإن الرؤيا نظرة شاملة وليست فلسفة شاملة.»[2]

---

[1] أدونيس، الثابت والمتحول الجزء الثالث، دار العودة(بيروت)ط4،1983،ص166

محي الدين صبحي، الرؤيا في الشعر البياني، اتحاد كتاب العرب(دمشق)دون رقم [2]الطبعة،1986،ص46

يمكن أن نستنتج مبدئيا مما سبق أن الرؤيا تعني طموح المبدع وسعيه لتجسيده، وغالبا مايتمثل هذا الطموح بعدا طبقيا أو إيديولوجيا يمثله الفرد ويعكس من خلاله الوعي الجمالي لتلك الطبقة.

:«فهو القدرة على النفاذ إلى جوهر العلاقات الاجتماعية، فهي لاتعني صياغة المطمح الفردي أو الجماعي فحسب، وإنما تعني النفاذ إلى الجذور وكشفها.

فالرؤيا تعني في الأساس النفاذ إلى جوهر الأشياء وبقدر مايكون هذا النفاذ واعيا تكون الرؤيا عميقة وقيمة.»[1]

2-رؤية العالم عند لوسيان غولدمان:

يعد مفهوم رؤية العالم من المرتكزات الاساسية التي تبنى عليها البنيوية التكوينية ، كما صاغها Lucien Goldmann"لوسيان غولدمان" :«وهذا المفهوم استعمله الكثير من المفكرين السابقين له، فمن الناحية التاريخية نجد أن dilthey"ديلكي" أول من استعمل مفهوم رؤية العالم، وقد اوضحه في كتابه (مدخل لدراسة العلوم الإنسانية حول الاساس الذي يمكن ان تقيم عليه دراسة المجتمع والتاريخ)، وخصه في مرحلة تليه بمؤلف هو(نظرية النظرات إلى العالم حول فلسفة)»[2] حيث يؤكد أن "رؤية العالم" :«هو مفهوم إجرائي، بل مكون فعال لما يعانيه الفرد ويعيشه ، وبناءا على ذلك فهو يبدو من اختصاص علم النفس ،فإن كل

---

3 عبدالله خلف العساف،قراءة في مصطلحي الرؤيا والرؤية،07:13/01/24

[2] د.عادل أسعيدي و د.عبد القادر بختي، مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان، مجلة آفاق علمية، المجلد11، العدد04،(الرباط) 2019، ص505

كائن يرد على ما يتولد على موقفه في المجتمع من مشاكل بواسطة نموذج يبنيه بشكل تدريجي ، وحينئذ لا يبدو التحديد المجتمعي إلا عاملا ثانويا ،يضفي صيغة الوحدة على تنوع النظرات ،كما هي عند الافراد.»[1]

ويرىMax Wiber "ماكس فيبر" :«أن مفهوم "رؤية العالم" هو النموذج الذهني الذي يشترك مع النظرة إلى العالم في نقاط متعددة ، هو نموذج نواجهه بالواقع كي نقيس مدى ابتعاده عنه ، ونقيمه انطلاقا من بعض العناصر نستقيها من الواقع ،ولكي ننتقيها بدلالة السؤال الذي يطرحه الباحث.»[2]

ورغم هذا التعدد في مفهوم "الرؤية" أو "رؤية العالم" من طرف مستعمليه من الدارسين إلا أن هناك قاسما مشتركا بينهم ، وهو الكلية، كما تحددت في مفهومها الهيجلي :«وقد لجأ "غولدمان" نفسه إلى هذا المفهوم ، غير أن "لوكاتش" و"غولدمان" لا ينحصر استعمالهما لها في دقته ،بل في كونهما وسعا دائرة هذا الاستعمال الدقيق ليشمل بذلك زمرة من العلوم الانسانية البعيدة عن الأدب ،كالفلسفة وعلم النفس والتاريخ وغيرها...»[3]

---

[1] مارتن هيندلس، مفهوم النظرة إلى العالم وقيمته في نظرية الأدب،تر عبد السلام بن عبد العالي، مجلة الآفاق،(الرباط)1982،ص62-63

1مجلة أفاق علمية ، مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان،ص505-506

[3] بشير تاوريريت،محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر،ص44

ويعرف "لوسيان غولدمان" "رؤية العالم" بقوله:«إن الرؤيا للعالم هي بالتحديد هذه المجموعة من التطلعات والإحساسات والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية وفي الغالب أعضاء طبقة اجتماعية وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى.»[1]

ويؤكد "غولدمان" :«أن رؤية العالم ليست واقعة فردية، ويعلل ذلك بكون الفرد المبدع لا يخلق بنية فكرية منسجمة من تلقاء نفسه، وإنما يبلورها بشكل واضح ، ويرتقي بتلك البنية إلى درجة عالية من الانسجام، حتى ترقى إلى المستوى الابداع الخيالي، ومن خلال الواقعة الاجتماعية التي تنتمي إلى مجموعة وإلى طبقة معينة يعبر المبدع عن أفكار ومشاعر هذه الجماعة، وهذا التعبير لا يتسنى للأفراد العاديين، وإنما كبار الأدباء والمنظرين.»[2]

ويظهر مما سبق أن:« "رؤية العالم" عند "غولدمان" تتميز بميزتين هما : الشمولية والانسجام ،فلا يمكن فهم الجزء إلا في إطار الكل ،ويعرف "غولدمان" الشمولية بمثال استوحاه بدراسته لخواطر "باسكال" »[3]«إذا أردت أن أشرح خاطرة "لباسكال" وجب علينا الرجوع إلى جميع خواطره وفهمها ، ولكن ينبغي أن أشرح نشأتها.»[4] كما أن للتماسك والانسجام أهمية بالغة في مفهوم رؤية العالم عند لوسيان غولدمان، وهذا ما أكده Roger Garaudy"روجي غارودي" حيث قال: «إن البنية الداخلية للأعمال الفلسفية أو الأدبية أو الفنية تتمتع بانسجام كبير عن مواقف كلية يتخذها الإنسان أمام المشاكل الأساسية التي تطرحها العظمى

---

[1] لوسيان غولدمان، الإله الخفي، ت زوبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة(دمشق)2010،ص12

[2] مجلة آفاق علمية، مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان، ص506

[3] مجلة آفاق علمية ،مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان،ص507

[4] عباس محمد رضا البياتي،عتبات البنيوية التكوينية ونقاط انطلاقها ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم،جامعة بابل، العدد25،ص469

صادرة عن كون هاته الأعمال تعبر في مستوى يتمتع بانسجام كبير عن مواقف كلية يتخذها الإنسان أمام المشاكل الأساسية التي تطرحها العلاقات فيما بين البشر والعلاقات بين هؤلاء وبين الطبيعة.» [1] وقد أكد "لوسيان غولدمان" أن رؤية العالم :«هي وجهة نظر متماسكة وموحدة، وهذا التماسك والانسجام يجعل رؤية العالم لا تتجاوز حدود الوعي الجمعي؛ ومن كل هذا يجلى لنا أن مفهوم "رؤية العالم "بدأت كالضوء الخافت عند "جورج لوكاتش" و"ديلكي" و"كارل مانهايم" و"ماكس فايبر"، ليزداد إشعاعا ونورا عند "لوسيان غولدمان" الذي حدد مفهومه بدقة وأرسى قواعده.»[2]

II/منهج لوسيان غولدمان:

1-المصطلح والمفهوم:

لمعرفة مفهوم البنيوية التكوينية، يجب أولا معرفة البنية لدى "لوسيان غولدمان"، حيث يعتبر هذا الأخير هو من أسس هذا المنهج، والبنية عنده مختلفة عن باقي النقاد الآخرين، فكل ناقد يراها من زاويته الخاصة. :« فيتوقف مفهوم البنية عند "غولدمان" على السياق بشكل واضح، حتى أن الفكر البنائي يعد من هذه الناحية فكرا مركزيا، إذ أن محور العلاقات لا يتحدد مسبقا وإنما يختلف موقفه باستمرار داخل النظام الذي يضمه مع غيره من العناصر.»[3] وبذلك فالبنية عنده ذلك الكل المنظم الذي يظم مجموعة من العلاقات بين العناصر المكونة له.

روجي غارودي: (البنيوية)فلسفة موت المؤلف،تر جورش طرا بيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، سوريا،ط3.1985ص15، [1]

مجلة آفاق علمية ،مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان،ص507 [2]

م.دعبد الله حسيني، البنيوية التكوينية الغولدمانية، مجلة أهل البيت،العدد 21،ص 124 [3]

وانطلاقا من البنية وعلاقتها بالعناصر التي ساهت في انشائها "فغولدمان" يؤكد بأن:« كل دراسة إيجابية لتاريخ مشكلة ما والإحاطة بتحولاتها، يقتضي حتما ان تربط ظواهرها بمجموع الحياة الاجتماعية والتاريخية، وأن تقرأها في ضوء الحقبة التي أفرزتها.» [1]

أما بالنسبة لمصطلح "التكوين" ودلالته، "فغولدمان" يرى بأن :« ليس بالضرورة تتبع الظاهرة تاريخيا وزمانيا كما يوحي المصطلح، وإنما يسعى إلى فهم الدلالات الكلية لهذه الظاهرة أو تلك من خلال تأطيرها ضمن السياق السوسيو ثقافي العام الذي من المفترض أنه أنشأها.» [2]

فالبنية تفهم في إطار نشأتها من تاريخ واجتماع وثقافة:« لقد فهم "غولدمان" خواطر" باسكال" و"راسين" في ضوء الجنسانية بوعيها وعلاقتها بواقعها الاجتماعي والسياسي.» [3]

2-البنيوية التكوينية كمنهج نقدي:

ظهرت البنيوية التكوينية نتيجة الدراسات والأبحاث التي قام بها "لوسيان غولدمان" في حقل الدراسات النقدية، واستثماره لإنجازات والمناهج التي سبقته سوآءا السياقية أو النسقية، فتبلور منهجه وأضحى من أهم التيارات النقدية وأوسعها انتشارا وما يتميز به من مرونة وانفتاح وتجاوزه للمناهج السياقية والنسقية ومحاولة الربط بينهما:« فالبنيوية التكوينية

---

[1] عبد الوهاب شعلان، المنهج الاجتماعي وتحولاته(من سلطة الايديولوجيا إلى فضاء النص)، عالم الكتب(الأردن)2008، ص55

[2] عبد الوهاب شعلان،المنهج الاجتماعي وتحولاته، ص56

[3] المرجع نفسه،ص56

منهجية تحاول البحث عن العلاقات الرابطة بين الأثر الأدبي وسياقه الاجتماعي والثقافي الذي سبق تكوينه.»[1]

ومنه نرى بأن البنيوية التكوينية أعادت الإعتبار للظروف الاجتماعية والتاريخية المحيطة بالمبدع بعدما كان يدرس العمل الفني في ذاته معزولا عن ظروفه الخارجية.

فالتعامل مع النص الادبي في سياقاته الخارجية، يساعد الناقد أو الباحث في دراسته للوصول إلى البنية بشكل أدق حتى لا يضل:« لإضاءة البنية الدالة وتحديد مستويات إنتاج المعنى عبر أنماط من رؤية للعالم.» [2]

إذ أن العمل الأدبي هو نتاج المجتمع الذي ظهر فيه، فالمبدع حينما يعبر لا يعبر عن نفسه فقط وإنما يعبر عن تطلعات مجتمعه من جهة أخرى :« فالفئة الاجتماعية ومفاهيمها الثقافية هي التي تفرض نفسها على الكاتب، والكاتب العظيم هو الذي يملك رؤية كونية تعبر عن أقصى وعي لتوجيهات الفئة أو الطبقة الاجتماعية.»[3]

وهذه الرؤيا هي ما أسماها "غولدمان" (برؤيا العالم) والتي أصبحت من أشد الدراسات جاذبية في النقد الحديث–فالمبدع في نظر"غولدمان" حتى يرتقي إلى مستوى الإبداع الخيالي وجب عليه الارتقاء بالبنية الفكرية إلى درجة عالية من الانسجام، وهذا ما جعل من المنهج البنيوي منهجا نقديا شديد المرونة في التعامل مع الابداع، وعلى حد قول "رولان بارت" عن منهج

---

[1] محمد نديم خشفة، تأصيل النص(المنهج البنوي لدى لوسيان غولدمان)،مركز الانماء الحضاري(حلب)ط1، 1997،ص07

[2] لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ت محمد سيلا، الأبحاث العربية(بيروت)،ط2، 1986، ص09

[3] محمد نديم خشفة، تأصيل النص،ص15

"غولدمان" :«إنه من أكثر المناهج مرونة، وأكثرها مهارة مما يمكن أن تتخيله صادرا عن التاريخ الاجتماعي والسياسي.»[1]

III/الأسس المرجعية للمنهج البنيوي التكويني:

يعد المنهج البنيوي التكويني كغيره من المناهج التي سبقته، لم ينطق من العدم ، وإنما نشأ على أسس وخلفيات فلسفية أهمها:

1-الفكر الماركسي:

فقد استفاد كثيرا من هذا الفكر وأعاد صياغته بما يتناسب وفكره:« إذ أن النظرية الماركسية ومنهجها الديالكتيك ومفاهيمها الاجرائية، تبدوا واضحة الورود في عمل "غولدمان"، وهو يؤكد ذلك تقريبا عبر جميع كتبه، ويكفي للبرهنة على ذلك أن يؤكد المفهوم المركزي في عمله أي (رؤية العالم)فقد استقاها من كتاب Karl Marx"كارل ماكس" (العائلة المقدسة) هذا فضلا عن مفاهيم أخرى كالبنية التحتية والبنية الفوقية.»[2]

فالفكر الماركسي صب اهتمامه على دراسة وتفسير الأدب في ظل العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي نشأ فيها، فهناك علاقة تأثير وتأثر بينهما بحيث أن:« البنية التحتية لها دون شك أهمية مؤكدة في تشكيل تصورات وأفكار الانسان.»[3]

---

[1] حميد الحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا(من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص)،المركز الثقافي العربي،ط1، 1990، ص710

[2] لوسيان غولدمان ،العلوم الانسانية والفلسفة، ت د.يوسف الأنطاكي، المجلس الأعلى للثقافة،(القاهرة) 1996، ص26

[3] لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ص14/13

« فإن تأكيد تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على الابداع الأدبي ليس عقيدة وإنما فرضية تكتسب صلاحيتها فقط بمقدار ما تؤديها الوقائع.»[1]

فهذا الفكر يرتبط بالأعمال والتصرفات الانسانية، ويتميز بدمج البنيوية بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية.

2-الفكر السوسيولوجي:

يعتبر هذا الفكر من أهم المرتكزات التي استند إليها "غولدمان" في تأسيس منهجه و:«تمتد سيرورة الفكر السوسيولوجي حتى نصل مطلع القرن العشرين، إلى نظرية سوسيولوجية تأسست على يد "بليخانوف" الذي تكونت لديه نظرية ماركسية عن الأدب، وهو ينظر إلى الأدب في علاقته غير المنفصلة عن حياة المجتمع وفي خلفية العناصر التاريخية والاجتماعية التي تؤثر في الأديب.»[2]

فالعمل الفني هو وليد العناصر المحيطة بالأديب وواقعه الاجتماعي، فرغم جهود"بليخانوف" في تأسيس الفكر الغولدماني إلا أن المفكر "جورج لوكاتش"(1885،1970) يحتل أعلى منصة في مجال الاهتمام بالحقل السوسيولوجي، "فلوسيان غولدمان" تأثر كثيرا بأستاذه "لوكاتش"

:«وقد كان لكتابه النقدي(نظرية الرواية) الأثر الهام في البنيوية التكوينية، حيث يربط بين التصور الاجتماعي والتطور الأدبي في مضامينه وأشكاله.»[3]

---

[1]لوسيان غولدمان، العلوم الانسانية والفلسفة،ص07

[2]مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية،ص459

[3]مجلة أفاق علمية، مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان،ص502

فهو ينطلق في تحليله للعمل الأدبي من النص دون اقصاء ما ساهمت به الظروف الاجتماعية في خلق العمل الإبداعي.ونلاحظ بأن:«سوسيولوجيا الأدب تتناول المقومات النفسية للأديب والتي ترتبط ارتباطا جذريا بالمقومات العرقية والظروف الزمانية والمكانية للبيئة العائلية والوسط الاجتماعي.»[1]

وبهذا نرى بأن العمل الأدبي هو نتاج ظروف عدة والتي تحيط بالمؤلف، أهمها: ظروف اجتماعية نفسية، وتاريخية فجميعها تساهم في خلق العمل الفني.

III/آليات المنهج:

اعتمدت البنيوية التكوينية في دراستها للنصوص الأدبية على مجموعة من الآليات، ومن بين هذه الآليات مايلي:

1-البنية الدالة: يعتبر مصطلح البنية الدالة من بين أهم الأليات التي يقوم عليها المنهج الغولدماني، فمن خلاه نستطيع فهم الأعمال الأدبية، كما ربطها بالحيثيات الخارجية التي نشأت على إثرها هذه الأعمال، ويفترض مفهوم البنية الدالة عند "غولدمان" أمرين أساسيين، الأول :«وحدة الأجزاء ضمن كلية، والعلاقة الداخلية بين العناصر، أما الثاني الانتقال من رؤية سكونيه إلى رؤية ديناميكية، أي وحدة النشأة مع وحدة الوظيفة.»[2]

ومن خلال هذا المفهوم يتضح لنا بأن دراسته تجاوزت:« التحليل البنيوي الشكلي الذي يراهن على العلاقات البنيوية للنص ويفصل بينهما وبين الأبعاد التاريخية والوظيفية.» [3]

---

[1] أسكاربيه، سوسيولوجيا الأدب، عويدات للنشر(بيروت)،ط3، 1999،ص08

[2] غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ص46

[3] عبد الوهاب شعلان، المنهج الاجتماعي وتحولاته،ص59

«وهنا نعود إلى الشرح الاجتماعي الذي يعترف "غولدمان" أنه لا يستنفد العمل الفني بل يشكل خطوة أولى ضرورية على الطريق الذي يؤدي إليه.»[1]

فمفهوم البنية يلغي حيثيات المناهج النسقية والتي تفرض على الناقد بعزل النص عن ظروفه الخارجية التي ساهمت في إنشائه ودراسته دراسة محايثة، بحيث في دراستها للعمل الفني تقوم بالجمع بين المناهج السياقية والنسقية معا.

2-الوعي القائم والوعي الممكن:

أ/الوعي القائم: «هو إدراك فئة اجتماعية ما لوضعها الراهن، وهذا الوعي يقتصر فقط على الوصف دون العمل من أجل التغير.» [2]

أي بمعنى هو الوعي الواقعي للمجتمع من ظروف ومشاكل التي يعاني منها،وتحاول إيجاد حلولا مناسبة لما تعانيه، لكنها تبقى مجرد تصورات ذهنية تفتقر إلى العمل والتطبيق.

فالوعي القائم" بالنسبة إلى "لوسيان غولدمان":« هو وعي بالحاضر مستندا إلى الماضي بمختلف حيثياته ومكوناته الاقتصادية والفكرية والتربوية، الذي يخلق التجانس بين أفراد المجموعة الاجتماعية.»[3]

فكل مجموعة اجتماعية تحاول فهم الواقع وتفسيره، وذلك انطلاقا من ظروفها الاجتماعية المحيطة بها ووضعها الراهن، دون أن يكون لها تصور مستقبلي أو إيديولوجيا لاقتراح بديل إيجابي لحياتها الواقعية والمعيشية ومن خلال هذا:«لابد من الإشارة إلى واقعة جد هامة

---

[1] غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ص81

[2] مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان، مجلة آفاق علمية، ص510

[3] لوسيان غولدمان، العلوم الانسانية والفلسفة،ص148

بالنسبة للبحث السوسيولوجي فكثيرا ما يحدث أن الوعي القائم هو جزء هام من أعضاء الجماعة تطمح إلى تغيير وضعها، أو الإندماج في جماعة أخرى أو تبني قيم جماعة أخرى غير جماعتهم.»[1]

فالوعي القائم مرتبط بزمن الحاضر، ومن سماته الثبات :«فهو وعي آني لحظي فعلي، من الممكن أن يعيي مشاكله التي يعيشها، لكنه لا يملك لنفسه حلولا في مواجهتها والعمل على تجاوزها.»[2]

ب/الوعي الممكن:

اعتبر" لوسيان غولدمان" الوعي الممكن :«بأنه وعي يختص بالفئة المميزة ذي الثقافة العالية كالأدباء والفلاسفة ويشكل دائما رؤية للعالم متماسكة سيكولوجيا وتستطيع أن تعبر عن نفسها على المستوى الديني والفلسفي والأدبي.»[3] فنجده يتجسد في جملة من الرؤى المنسجمة للطبقة الاجتماعية، وما تسعى إليه ،كما يتمثل في حبل التواصل بين أفرادها.

فهو:« وعي يخلق التجانس بين أفراد المجموعة الاجتماعية ويؤكد احساسها بأن تكون وحدة متكاملة في مستويات وجودها، الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.»[4] غايته التغيير والتطوير في ظل الظروف الاجتماعية المحيطة والتي هي مجسدة في العمل الأدبي.

---

[1] لوسيان غولدمان، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ص37

[2] صالح سليمان عبد العظيم، سوسيولوجيا الرواية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1، 1998،ص57

[3] لوسيان غولدمان، العلوم الانسانية والفلسفة،ص116

[4] المرجع نفسه،ص148

:« إذ يحتل المبدع في طبقته مكانة تخوله أن يشكل وعيها الممكن كأقصى ما يمكن أن يصل إليه هذا الوعي في تجسيد همومها وتطلعاتها.»[1]

ويتجلى هذا الوعي في ذلك التماثل بين البنى الفكرية للأديب والبنى الاجتماعية لأفراد مجتمعه، إذ يجب على المبدع في تأمله لواقعه أن لا يقتصر فقط على ذاته، بل عليه الانطلاق من أفكار وآمال أفراد مجتمعه، محققا التوازن بين البنية الذهنية لديه وبين البنيات الذهنية للفئات الاجتماعية الأخرى.

لذلك عد "الوعي الممكن"« وعي استشرافي يملك نظرة مستقبلية على عكس الوعي القائم الذي هو آني، والغاية التي يسعى إليها هي تغيير الواقع ومعنى ذلك عندما نريد دراسة وقائع الوعي الجماعي أو درجة التلاؤم مع الواقع، لدى وعي مختلف الفئات المكونة لمجتمع ما، فإنه يلزم البدء بالتمييز الأولي بين الوعي القائم بما له من مضمون ثري متعدد، وبين الوعي الممكن باعتباره الحد الأعلى من التلاؤم.»[2]

ومنه نصل بأن الوعي الممكن يستند على الوعي القائم ليتجاوزه ويكون تصورا جديدا.

3-الفهم والتفسير:

«إن كل قراءة بنيوية تكوينية تتأسس على مرحلتين هامتين، الأولى تتمثل في الفهم. أي تدرس ما هو داخل النص الابداعي .»[3] تركز فقط على البنى الداخلية له، باعتمادها على مبدأ المحايثة بعيدا عن السياقات الخارجية من تاريخ ونفسية المبدع:«أما الثانية، فهي

محمد عزام،وعي العالم الروائي"دراسة في القصة المغربية"، منشورات إتحاد كتاب العرب(دمشق)1990،ص169[1]

[2]لوسيان غولدمان ، العلوم الانسانية والفلسفة، ص116

[3] عبد الوهاب شعلان، المنهج الاجتماعي وتحولاته،ص60

التفسير، حيث يتم الربط بين البنية الدالة للنص مع إحدى البنيات الفكرية في الواقع الثقافي للمجتمع، ويؤكد "غولدمان" أن المرحلتين غير منفصلتين، بل هما عملية واحدة.» [1]

في حين نجد مرحلة التفسير تعتمد في دراستها لبنية النص على السياقات الخارجية التي ساهمت في إنشائها .

« إذن الفهم عند "غولدمان" هو التركيز على النص ككل دون إضافة أي شيء من تأويلنا أو شرحنا، والتفسير هو الذي يسمح بفهم البنية بطريقة أكثر انسجاما مع مجموعة النصوص المدروسة، ويستلزم التفسير من وجهة نظره استحضار العوامل الخارجية لإضاءة البنية الدالة.» [2]

فمرحلة الفهم والتفسير تحاول ربط النص بظروفه الخارجية والتي ساهمت في إنشاءه، ولا تقصي أي عنصر من هذه العناصر :«ولذلك نرى أن هذا المفهوم يرتبط ارتباطا قويا مع مفهوم رؤية العالم، ففي الأول نفهم النص ونفسره وفي الثاني نلم بدلالته التاريخية والاجتماعية.»[3]

---

[1] المرجع نفسه،ص60

[2] مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان، مجلة آفاق علمية،ص508

[3] ينظر، عبد الوهاب شعلان، المنهج الاجتماعي وتحولاته،ص59-60

الفصل الثاني:

النسق البنائي في المنهج البنيوي

I/ بنية الشخصية

1/تعريف الشخصية:

«إن النص الروائي المتطلع إلى حكي أحداث متنوعة ذات فاعلية مؤثرة في المتلقي، لابد من شخصيات , يسند إلى كل شخصية دورا وظيفيا محددا.»[1]

وجاء في معجم لسان العرب في تعريف مصطلح الشخص أو الشخصية:

أ-لغة:« الشخص جماعة شخص الانسان، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، والشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعيد، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات.»[2]

وورد في معجم الوسيط في تعريفه للشخصية:« هي صفات تميز الإنسان من غيره، ويقال فلان ذو شخصية قوية، ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل.»[3]

من خلال هذين التعريفين، نرى أن الشخصية تطلق على الذات الإنسانية، فمن غير الممكن أن نقول لغير الإنسان شخص أو شخصية، وهي نوعان' شخصيات إنسانية تتمثل في الأفراد وشخصيات ورقية تتمثل في الأعمال الفنية والروائية.

ب-اصطلاحا: يعتبر مصطلح الشخصية الروائية من أهم المصطلحات الفنية في تشكيل العمل الروائي، ولهذا تعددت تعريفاتها عند النقاد والدارسين، نظرا لأهميتها في النص الروائي ودورها الفعال في إبراز الأحداث وتطورها وفي هذا السياق يعرفها "رولان بارت" :«

---

[1]مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله،دراسات أدب، بدون طبعة،ص36،

[2]إبن منظور، لسان العرب،(مادة شخص)المجلد07،دار الكتب العلمية، بيروت، ط05، 1992،ص36

[3]إبراهيم مصطفى وأخرون،،المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية إسطنبول(تركيا)، بدون ط،ص475

بأنها نتاج عمل تأليفي، وكان يقصد أن هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم(العلم) يتكرر ظهوره في الحكي.»[1]

«كما ينظر إليها على أنها كائن ورقي، لأنها شخصية تمتزج في وصفها بالخيال الفني للروائي وبمخزونه الثقافي، الذي يسمح له أن يضيف ويجذف ويبالغ ويضخم في تكوينها وتصويرها.»[2]

أراد الروائيون بتشكيلهم للشخصيات وإعطائها مظهرا سيكولوجيا، بجميع الصفات الخارجية والداخلية، وذلك لأنها تلعب الدور الأكبر في أي عمل فني :«ويبدو أن العناية الفائقة لرسم الشخصية أو بناءها في العمل الروائي، كان له ارتباط بهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية من جهة، وهيمنة الإيديولوجيا من جهة أخرى، من أجل ذلك كنا نلفي الكثير من الروائيين يركزون على عبقريتهم وذكائهم في رسم ملامح الشخصية.»[3]

فالشخصية الروائية تختلف عن الشخصية الواقعية ، فهي صورة تخيلية من صنع الروائي، يشكلها ليمرر أفكارا أو رؤية :«تستمد وجودها من العناصر الحكائية، وانصهرت في بنية الكاتب الفكرية الممزوجة بموهبته لتسهم في تكوين بنية النص الروائي، وتنجز وظيفتها

حميد الحميداني،البنية السردية من منظور النقد الغربي،المركز الثقافي العربي(بيروت)

[1]ط1،1991،ص51

[2]المرجع نفسه،ص51

3عبد المالك مرتاض،تحليل الخطاب السردي،معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995،ص135

المسندة إليها تأليفيا وتعكس بعلاقاتها مع البنى الحكائية الأخرى، ظروفا اجتماعية وثقافية دافعة إلى إنتاج الدلالة.»[1]

فالروائي في بناءه للشخصية عليه أن يضع في حسبانه، بأن هذه الشخصية لابد أن ينتابها تغييرات في بنيتها، بسبب الصراعات والمواقف التي تحدث لها مع بقية الشخصيات الأخرى.

وترجع أهميتها لكونها:« تقع في صميم الوجود الروائي، تقود الأحداث وتنظم الأفعال، وتعطي القصة بعدها الحكائي...إضافة إلى أنها تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى.»[2]

2/تحليل الشخصيات:

يعد عنصر الشخصية إحدى أهم المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي:«لأنها العنصر الفعال الذي يسير أحداث الرواية ،ويقوم الروائي بتشكيلها بغية تجسيد أكبر قدر ممكن من الرؤى والمواقف فبتعدد الشخصيات تتعد الرؤى، ولذا يمكن القول بأن الشخصية الروائية يمكن أن تكون مؤشرا دالا على المرحلة الاجتماعية والتاريخية التي تعيشها.»[3] فنجد الكاتب "بن نبي" في روايته هاته وظف مجموعة من الشخصيات مثلت المجتمع الجزائري بمختلف فئاته.

فمن خلال دراستنا لرواية "لبيك حج الفقراء" ،اتضح لنا أن الشخصيات كان حضورها نوعا ما متنوع والمجسدة في شخصية "العم محمد" و"إبراهيم" و"هادي" و"زهراء" .نجد من بين

---

[1] ينظر مرشد أحمد، البنية والدلالة، ص35-36

[2] حميد الحميداني، بنية النص السردي، ص51،

[3] مرشد أحمد، البنية ودلالة، ص33،

الشخصيات المحورية التي دفعت بالأحداث في الرواية، شخصية "إبراهيم"و "هادي".،ويعرف "أنريكي أندرسون"الشخصيات المحورية بقوله:«هي شخصيات مسيطرة ،وتظهر بصورة الأفراد المهيمنة.وأيا كانت الأحداث والتصرفات الصادرة ،فإن الباعث ينير معالم الشخصية سواءا كانت إيجابية أو سلبية.»[1] وتمثلت الشخصية المحورية في:

أ- **شخصية** "**إبراهيم**" ، وهي ذات مرجعية اجتماعية دينية، يسرد لنا الكاتب حالة هذه الشخصية مع شرب الخمر، حيث سببت له مشاكل عائلية واجتماعية، ويظهر هذا من خلال المقطع السردي :«ماذا بعد يا إبراهيم ؟مرة أخرى ثملا؟ ألا تفكر في هذه الساعة المتأخرة تزعج جيرانك المساكين؟.»[2]

وتعتبر شخصية" إبراهيم" السكير على مستوى العمل السردي شخصية باهته وضعيفة ذات صفات سيئة بعيدة كل البعد لعادات المجتمع الجزائري، وصورها الكاتب على أنها شخصية مهمشة و منبوذة من باقي أفراد المجتمع ،ويظهر هذا من خلال طريقة المعاملة التي كان يتلقاها منهم. نذكر في سياق هذا الحديث.

زوجته "زهراء" :«الذي أحس بأنه محتقر من قبلها، والتي لا تعيره اهتماما كافيا.»[3]

ليوضح الكاتب سبب انحراف "ابراهيم" وابتعاده عن قيم المجتمع الجزائري، هو احتكاكه وتأثره بالطبقة الفرنسية المخالفة للشرع وتعاليم الدين الاسلامي، فحاول الكاتب أن يجسد مثل هاته الفئات التي انخرطت في المجتمع الفرنسي :«وهي إشارة واضحة لفكرة القابلية

---

[1] أنريكي أندرسون ،القصة القصيرة(النظرية والتقنية)تر علي إبراهيم علي،المجلس الأعلى للثقافة ،2000(القاهرة)ص239-240)

[2] مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء،ترجمة د.زيدان خوليف،دار الفكر2019ط4(دمشق) ص32

[3] المصدر نفسه، ص48

للاستعمار التي اشتهرت بها فلسفة "بن نبي»[1]وهذا ما كان يريده المستعمر الفرنسي من الجزائريين، بأن يزعزع قيمهم وينخر مجتمعهم من جميع أنحائه سوآءا الدينية أو الاجتماعية.

أراد الكاتب أن يوصل تلك الرسالة التي تنخر الواقع الاجتماعي المر الذي كان يعيشه "إبراهيم" إبان زمن الاستعمار الفرنسي في الجزائر، فهو الذي أثر سلبيا على حياته، فما تعلمه واعتاد عليه في صغره لا يتناسب تماما مع أحاسيسه العميقة وأصوله المتجذرة .

وهذا مايظهر في قول الكاتب:« لقد كان إبراهيم على سوء تعرجات حياته، يحافظ على الروح الصوفية التي ورثها عن السلالة الصالحة لأسلافه.»[2]فبالنسبة للكاتب ،تعتبر شخصية "إبراهيم" شخصية معارضة للقيم الدينية وحتى الثقافية، فهو اعتبر مثال لفئة معينة من الجزائريين الذين خرجوا عن عاداتهم وقيمهم لتأثرهم بالمجتمع الفرنسي .وفي ليلة من الليالي استدرك أمر خطائه و قرر الاستجابة لنداء الفطرة والدين، نداء المجتمع وعاداته وتقاليده، نداء الذكريات العائلية التي حفرت في نفسه قيم دينه وأمته ومجتمعه.

كان يمثل تلك العودة الروحانية والنقاء بعد ابتعاده عن تلك القيم، وغوصه في قذارة الانحلال والمادية :«هذا ما تحكيه الرواية ببراعة وإتقان، ليبدع راويها في التصوير الرمزي بطريقة أو بأخرى حال الأمّة الضائعة، وهي تتلمّس طريق الهداية، وتخطو خطوات البداية بصفاء نيّة وإصرار على الوصول.. إنها الخطوات الأولى لتباشير الصبح الجديد الذي يأمله مالك بن نبي للعالم الإسلامي بعد أن نزع عنه لباس الاستعمار، والذي حرص من خلال

---

[1] واكي راضية،قراءة في رواية لبيك حج الفقراء (قراءة تأويلية لرواية فكرية فلسفية)جامعة زيان عاشور الجلفة،ص202

[2] مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء،ص 39

فكره في البحث عن كل ما يمكن له أن يتلقفها لينهض بها من كبوتها المزمنة، لتدخل من جديد في مضمار الحضارة.»[1].

ب–شخصية هادي : «كما كان للنشء والمتمثلة في شخصية "هادي" ضوءا خاصا اهتم به "بن نبي" بإلقائه على شريحة من المجتمع ما فتئ ينادي بأن تكون بمثابة رأس حربة في كل عمل نهضوي.»[2]

وتعد هذه شخصية رئيسية وفعالة داخل العمل الروائي ، ظهرت في وسط سرد الأحداث ،من خلال رصد الكاتب للأبعاد المكونة لها النفسية والاجتماعية، له بعد نفسي واضح وجلي في شخصيته، تبين ذلك من خلال نفسيته المنهارة . حيث أسهب الكاتب في وصف حالته، مساح أحذية ،الذي اضطر إلى التزام الشارع بعد وفاة والديه وتعرضه للانزلاق الأخلاقي، ومعاناته الفقر،

وهذا ما يظهره لنا الراوي أثناء وصفه لهذه الشخصية قائلا:« كان شعره أشعث ورجلاه حافيتين، يرتدي سروالا كثرت ثقوبه كغالبية أطفال بونة.»[3] هذا يدل على أن الطفل "هادي" مثل تلك الفئة من الأطفال التي عانت من ويلات الاستعمار، وتهميشها للجيل القادم وحرمانه من الدراسة والتعليم.

وإذا نظرنا إلى الحالة الاجتماعية لهذه الشخصية فنجدها من خلال وصفها الخارجي في مقتبل العمر، وهو الجانب البارز في الرواية، على اعتبار أن الكاتب قدمها كنموذج عن

---

[1] عائشة نجار،دراسة نقدية لرواية لبيك حج الفقراء،10/21

[2] المرجع نفسه

[3] مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء،ص76

الجيل الناشئ أنداك، حيث يقول:« مغامرة هذا الفتى لها معنى، سوف يعود إلى وطنه بلقب حاج، كثير من أولاد الأغنياء لا يحملون هذا اللقب، فهو فقير.»[1]

هذا وقد كانت شخصية الطفل "هادي" مميزة عن باقي الشخصيات الأخرى، لأنها لامست واقع المجتمع الجزائري آنذاك، إضافة إلى أنها شبيهة بحالة الشخصية الرئيسية وهي شخصية "إبراهيم" فنجد أن كلاهما تغير حالهما، بعد ان كانا عليهما في بداية الأحداث، فتعد شخصية "إبراهيم" نقطة تحول في حياة ذلك الطفل، لأنه قدم له مساعدات جمة أولا في الذهاب معهم في رحلة الحج لأنه استقل المركب خفية.

و هذا ما يظهر في قول الكاتب:«ياسيدي هذا الطفل مسكين، يريد فقط أن يحج، وليس له أبوان يدفعان عنه المستحقات، ولكن إن أردت سندفع بدلا عنه.»[2] وثانيا في تعليمه لطريقة الوضوء والصلاة :«عليك أن تتبع ما أفعله في الوضوء مرة أو مرتين.»[3]

من خلال تتبعنا لأحداث الرواية من بدايتها، نجد بأن شخصية "هادي" تغيرت كثيرا، من ناحية السلوك والتصرفات أو من ناحية التفكير ،بالإضافة إلى علاقته مع "إبراهيم" بعدما كانت علاقة سيئة.

من هنا نستنتج أن الكاتب صور لنا تلك العزيمة التي دفعته لينقل نفسه من ولد مشاغب إلى فتى يملك كامل الاستعدادات ليصبح رجل له مكانة في المجتمع أو رجل حضارة .

---

[1] امالك بن نبي،لبيك حج الفقراء ،ص117

[2] المصدر نفسه،ص96

[3] المصدر نفسه،ص113

فنموذج "إبراهيم" والطفل" هادي" يبينان بعمق كيف أن رجل الفطرة حين يتحرك ويأخذ طريقه لكي يصبح رجل فاعل في المجتمع، فالإرادة التي امتلكها "إبراهيم" خوفا على "هادي" عندما رآه عمال العبارة دون رخصة، جعلته يمتلك دافعا حقيقيا ليعيش كلاهما مرحلة التغيير.

أما بالنسبة للشخصيات الثانوية فنجد شخصية:

أ-**العم محمد** :مثلت شخصية "العم محمد" رمزا للأصالة المتجذرة في المجتمع الجزائري، وهي شخصية ثانوية فعالة ساعدت في تطور مجريات الأحداث الروائية، وتغيير الشخصية الرئيسية من السيئ إلى الأحسن، وهي عبارة عن رجل دين في مدينة عنابة، له قيمة وسمعة حسنة يقتدي به كل المجتمع: «كان يعيش حالة من التقوى والفراغ والترف، وسمات وجهه تتميز بتلك اللطافة.»[1]

فشخصية العم محمد مثلت تعاليم القيم الإسلامية، وأصالة المجتمع الجزائري،فظهرت هذه الشخصية منذ بداية أحداث الرواية بشكل جلي وواضح من خلال تقديم صورة عنه ووصف ملامحه وشكله قائلا:« ..الذي يخاطبه كان شيخا له لحية بيضاء، وحول عنقه سبحة مثل هؤلاء الذين نجدهم على درج مدخل الجامع، ينتظرون نداء المؤذن ..»[2]

كما يمكن القول بأن شخصية "العم محمد" لعبت دورا فعالا في تغيير حياة إبراهيم والذي كان يعيش حياة ضنكا ، وقدمت له يد العون، للتخلص من معاناته مع السكر والانحراف إلى التوبة النصوح والذهاب إلى الحج، وأنه بفضله بعد الله كان التغيير الحقيقي لحياة إبراهيم ، سوآءا من الناحية النفسية أو الاجتماعية.

---

[1] مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء،ص33

[2] المصدر نفسه، ص33

ب-شخصية زهراء: تعد شخصية " زهراء" في الرواية شخصية ثانوية أيضا،أخذت قسطا معينا داخل الحيز الروائي من الوصف والسرد والأخبار، وهذا ما جعلها تساهم في تغيير بعض الأحداث وتطورها وظهرت بشكل لافت من خلال رصد الكاتب لأهم صفاتها النفسية والاجتماعية .

إن البعد النفسي ل"زهراء" كان جليا وواضحا من خلال نفسيتها المنهارة والمحطمة، وهي شخصية يكسوها طابع الحزن، وهذا ما أظهره لنا الكاتب في قوله:«ارتسمت على صفحات وجهها رقة وحزن كمن به مرض عضال.»[1] وبقي هذا البعد على نفس الحال ولم تتغير نفسيتها طوال أحداث الرواية, وهذا بسبب حجم المعاناة التي كانت تتلقاها بسبب زوجها "إبراهيم" طوال فترة عيشهما، فكانت تجربة زواج فاشلة.

وهذا ما تبين لنا في حجم الكآبة المسيطة على "زهراء" حيث ظهر ذلك بشكل لافت من خلال أحداث الرواية، ونفسيتها الطامحة في العيش بعيدا عن كل ما يشوه صورة المرأة في المجتمع، ويجعلها عبدا ذليلا، والعامل الذي يجعل من حياة "زهراء" حياة بؤس هو زوجها "إبراهيم" جراء تصرفاته السيئة وعاداته المنافية للعادات والتقاليد الدينية والمجتمع الجزائري وهذا ما نستنتجه من قول الكاتب :« كانت تعاني منذ مدة من سلوك إبراهيم غير السوي...كان يعذبها بعد انتقال والديه إلى الرفيق الأعلى .»[2]

ورغم كل الأسى والمعاناة التي لقيتهم "زهراء" من زوجها إلا أنها بقيت وفية لزوجها، وتكن له الحب والاحترام، خاصة بعد وفاة والديه إلا أن تماديه في سلوكه بصورة مستمرة جعلها تضع حدا لهذه الحياة الزوجية، وتركت أمر زوجها لعمه هو الذي يدير أمره.

---

[1] مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء،ص46

[2] المصدر نفسه، ص46

فشخصية "زهراء" مثال للمرأة الجزائرية في الصبر والتحدي، فرغم تعرضها للعنف اللفظي والجسدي من قبل زوجها ، إلا أنها حاولت الحفاظ على أسرتها وحياتها الزوجية، فتضحيات المرأة الجزائرية في المجتمع في سبيل الحفاظ على أسرتها من التشتت، دائما ما يكون له دورا إيجابيا، فمن خلال شخصية "زهراء" يبين لنا الكاتب دور الزوجة الصالحة في التأثير على المجتمع وتغييره.

استنتاج:

من خلال تحليلنا للشخصيات المجسدة من قبل الكاتب "بن نبي" في روايته "لبيك حج الفقراء" تبين بأنه أعطى صورة عن المجتمع الجزائري في حقبة الاستعمار، مثلت معظم أطياف المجتمع الجزائري آنذاك مثل، شخصية إبراهيم وزهراء والعم محمد والطفل هادي وكذلك صاحب إبراهيم رفيق السوء .

فتحليلنا كان قائم على الشخصيات الأكثر فاعلية في الاحداث الروائية، وكان لها الدور الاهم في تحريك الأحداث وتطورها والتغيير الذي طرأ عليها من السيئ إلى الأحسن.

أما هناك شخصيات لم نتطرق إليها بحكم أنها لم تكن تظهر بقوة في أحداث القصة.

يبدوا أن الكاتب من خلال تقسيمه للأدوار في هذا العمل الروائي أنه وضع شخصيات فعالة، بحيث كانت مساعدة في تطور الأحداث عبر الزمان والمكان وتغييرها، حيث بواسطتها تم حل العقدة التي مرت بها الشخصية البطلة(إبراهيم) مثل شخصية (العم محمد) .

فتبين وجود شخصيتين معارضتين للعادات المجتمع الجزائري وقيم الدين الاسلامي من خلال سلوكياتهما وتصرفاتها، بسبب ظروفها الاجتماعية من جهة ومن جهة أخرى احتكاكها بالمجتمع الفرنسي ، وتمثلت في شخصية إبراهيم وصديقه السكير "رفيق السوء".

3/إعادة بناء الشخصية:

في الأخير نجد بأن الكاتب انتصر للقيم الاسلامية، وأعاد بناء شخصياته وفق قناعته ورؤاه، فشخصية "إبراهيم" المنحرفة والذي كان ضائعا في وحل السكروالعربدة، نجده تاب مما كان عليه، وأعاد النظر في حياته وسلوكياته ليحقق حلمه في تغيير نفسه وتطهيرها :«فأحس بخفة في روحه وكأنها تخلصت من قيودها الثقيلة التي كان يظن أنها لن تنفك عنه أبدا.»[1] فالتغيير الأهم الذي يكون نابعا من الذات ويجب:«أن لايفقد الانسان من نفسه معنى الخير كله مهما أحاطت به دوافع الشر لأن الأصل في قلبه الخير،والشر عارض.»[2]

وقرر"إبراهيم" أن يشارك الحجيج في رحلتهم التي كانت مبرمجة بعد يومين، وساعده في الإجراءات اللازمة "العم محمد" فنجده قد تغير تماما ،وتحرر من الرذائل والعادات السيئة الذي كان حبيسا فيها طيلة فترة حياته السابقة :« فأحس بفخر في قلبه، أضفى على هيئته وقارا وزادة كرامة.»[3]

فكثيرا ما نلاحظ في المجتمع أن الشخص الغير سوي هو شخص منبوذ، لكن عندما يدرك خطأه ويعود للاندماج مع باقي أفراد مجتمعه، يلاقى بالترحيب والاحترام، وهذا ماحدث مع شخصية "إبراهيم"

ومن أهم ما ركز عليه الكاتب هو العودة إلى الأصول والقيم الاسلامية ،وإبراز أهميتها، وهذا ما تحدث عنه في كتابه "شروط النهضة" في الباب الأول(الحاضر والتاريخ) ويظهر في قوله:« يجب أن نعمل، يجب أن نتعلم، يجب أن نجدد صلتنا بالسلف الصالح، ونحيي

---

[1] مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ص52

[2] مالك بن نبي،تأملات،دار الفكر(سوريا)2009،ص216

[3] مالك بن نبي ،لبيك حج الفقراء،ص56

شعائر المجتمع الاسلامي الأول،وأن عودتنا لتلك الأصول، هي التي يجب أن ننطلق منها لرسم حياة جديدة وحضارة اتصالية نابعة من ذواتنا وأخلاقنا.»[1] "فإبراهيم" السكير الذي عاد إلى وعيه واستدرك خطأه في تلك اللحظة:«فاضت مشاعره شاكرا الله وكل الناس ,لأنه وفق في مسعى كان يظنه صعب المنال، كان يعيش لحظات كلها نعيم.»[2]

لأنه على ثقة بأن الله عز وجل يقبل التوبة لعباده مهما تعددت الأسباب:« فالمسلم، عندما يتخلص من خطاياه تنتابه ثقة كبيرة في مغفرة الله، إلى درجة يتلاشى معها الندم على هذه الخطايا....هذه المعجزة المذهلة تبقى غير مفهومة لأولئك الذين لا يحملون بين ضلوعهم نفسا مسلمة.»[3]هذا بالنسبة لشخصية "إبراهيم".

أما بالنسبة لشخصية "هادي" هي أيضا تغير حالها بالمقارنة مع بداية الأحداث، وما كان عليه من طفل مشاغب، نجده هو الأخر استدرك أمر خطأه، وبعزيمة أقوى أراد الذهاب إلى الحج :«لدرجة تحدى رفقائه واستلقائه المركب خفية.»[4]

بحيث كان يملك تلك الروح الحالمة التي تسكن الأطفال المولعين بحب استكشاف الأصقاع البعيدة ،فوجد هذه الرحلة مناسبة لتحقيق حلمه .

وعلى متن رحلة الحج يلتقي "هادي" مع "ابراهيم" مجددا، فقد كانت تربطهما علاقة لكن ليست بالعلاقة الجيدة ،إلا أن الصدفة التي جمعتهم من جديد صلحت تلك العلاقة

---

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، ت شاهين عبد الصبور، دار الفكر(سورية)،ط18،ص25

[2] مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ص64

[3] المصدر نفسه، ص60-61

[4] المصدر نفسه،ص94

،وأصبحت علاقة قائمة على الود والاحترام، إضافة إلا أن جمعهم حلم واحد وهو الذهاب إلى الحج ،ونسيان الحياة القديمة بكل ما تتضمنه من بؤس ومعاناة، وبداية حياة جديدة .

II/بنية المكان:

1-المكان وأهميته:

يعد المكان أحد العناصر الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي، لكونه يمثل العنصر الأساسي الذي تتطلبه الأحداث :«لهذا أمسى المكان شرطا لازما للروائي، كي يبني عالمه، ويحيى فيه المجتمع الروائي الذي تعييش فيه مجموعة من الشخصيات. ترتبط فيم بينها بعلاقات محددة ونظم اجتماعية متنوعة.»[1]

بحيث أن المكان هو الخلفية التي تقع فيها الأحداث الروائية «:لتصبح حاملة لمدلولات مختلفة، وترتبط

ارتباطا وثيقا بالعناصر الأخرى المكونة للرواية، تسقط عليها ضلالها وتكتسب منها عمقها.»[2]

:«وهذا يعني أن المكان يساهم في خلق المعنى.وتطور مجريات الأحداث الروائية.»[3] ويقوم بمساعدة الروائي في التعبير عن رؤيته ونظرته إلى العالم.

---

[1]أحمد مرشد، البنية والدلالة، ص121

[2]سيزا قاسم، بناء الرواية،(دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)هيئة الكتاب،ط1 ،2004،ص110

[3]حميد الحميداني، بنية النص السردي،ص70

:«والدور الأساسي الذي يقوم به في التحكم بمجرى سريان الأحداث والتأثير في الشخصيات بالكشف عن مشاعرها.»[1]وهذا دليل واضح على أهمية عنصر المكان في بنية النص الروائي.

وهذا ما يؤكده "ميشال بوتور" بقوله:«إن قراءة الرواية رحلة في عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ، فمن اللحظة التي يفتح فيها القارئ الكتاب ينتقل إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي، ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني الذي يتواجد فيه القارئ.»[2]

فالمكان هنا يساهم في تغيير الحالة النفسية لدى القارئ، من خلال تأثره بمجريات الأحداث الروائية، لانسجامه مع النص، ويصبح جزءا من هذا النص.

2-علاقة المكان بالشخصيات:

يمكننا تصنيف الأمكنة التي جرت فيها الاحداث الروائية إلى:

أ/أماكن مغلقة: « تمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدود امكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان المفتوح، فقد تكون الاماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج، وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الانسان بعيدا عن صخب الحياة».[3]

---

[1]أحمد مرشد، البنية والدلالة، ص217

[2]سيزا قاسم، بناء الرواية،ص103

أوريدة عبود،المكان في القصة الجزائرية الثورية(دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبد الله الركيبي)،دار

[3]الأمل،الجزائر،2009،ص51،

وشغل المكان المغلق حيزا مهما في رواية "لبيك حج الفقراء" واختلفت الأمكنة مابين (مكة، الدكان،المركب،المسجد...إلخ) حيث ترجع أهمية الأمكنة :«لما لها دورا حيويا على مستوى الفهم والتفسير والقراءة النقدية.»[1]

مكة: تتخذ علاقة الشخصيات الروائية بحسب طبيعة المكان التي ظهرت فيه من حيث: الحنين، التعلق، الانتماء...معتمدة في هذا على طبيعة المكان، وما يعنيه بالنسبة للشخصية .وهذا ما جسده " مالك بن نبي" في روايته لبيك حج الفقراء ، في وصفه لأحداث رحلة الحج ،وكيف كانت ردود فعل الأشخاص المهتمين بهذه الرحلة ومدى تعلقهم بمكة، وهذا ما يظهر في الحوار الذي دار بين "إبراهيم" و " العم محمد".:«سأدعو لك يا عمي محمد عند شباك النبي....هذا السياج المهيب الذي تهفوا إليه قلوب كل المسلمين بعبارات مفعمة بالأماني والإيمان.»[2]

المركب: فعند قراءتنا للرواية نجد المركب أخذ حيزا مهما في سير أحداث القصة، فشخصية "إبراهيم" الجديدة والتي هي مفعمة بالإيمان والتقوى ، أصبحت متلهفة لزيارة مكة .كما تعتبر العبارة هي المنقذة له من ذلك العالم المتوحش الذي كان منغمس فيه:«عندما وضع رجليه على المركب شعر وكأنه تخطى على عتبة عالم جديد، أطلق زفرة كلها رضا والحمد لله.»[3]

الدكان: وتلعب تفاصيل المكان دورا مهما في تطوير العمل السردي، ويبقى حتى لصغائر الأمور دلالة وانعكاس على الشخصية، كما حدث مع شخصية "إبراهيم" في حياته التي

محبوبة محمدي محمد آبادي، جمالية المكان في قصص السعيد حوارنية،منشورات الهيئة العامة السورية،وزارة الثقافة،ط1، دمشق،2011،ص56[1]

مالك بن نبي، لبك حج الفقراء، ص74[2]

مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء ،ص70[3]

عاشها في دكانه قبل توبته :«وهو واقف في وسط الغرفة بقميصه المدبوغ مع يديه بغبار الفحم، يجسد الروح السوداء لهذا المكان المعتم.»[1] فالكاتب هنا يصور تفاصيل يومياته وهو في غرفته ،وكيف هي تعكس ما بداخله من عتمة وفساد .

المسجد: فالمسجد هو المكان الذي يلجأ إليه العبد المؤمن لطاعة الله عز وجل، فالكاتب أراد أن يوضح الإيمان الكامن في النفوس ومدى تعلق المؤمن بعقيدته ،لأنه بعد رؤيته لذلك المنام الذي غير حياته، قرر نسيان الماضي وبداية حياة جديدة قائمة على الطاعة والإيمان، وأول مكان لجأ إليه هو المسجد :«اتجه بعفوية نحو الشمال باتجاه المسجد الذي لاحت منارته السامقة في سماء لونها خبازي امتزج بلون وردي باهت ،رأى أطيافا بيضا تدخل المسجد من الباب المركزي.»[2]

ب/أماكن مفتوحة: هي «حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة يشكل فضاءً أرحب وغالبا ما يكون لوحة طبيعية للهواء الطلق. »[3]

بحيث شكلت الأمكنة المفتوحة حيزا مهما في أحداث الرواية، فكل مكان له دلالة معينة ونذكر على سبيل المثال:

منطقة بور سعيد: وفي نقطة أخرى يصف الكاتب مسار الحجيج منذ انطلاقهم إلى نقطة وصولهم، :«بحيث تبدأ رحلة الحج من منطقة بور سعيد وهي منطقة تقع في مصر ويحدها البحر الأحمر.»

---

[1] المصدر نفسه، ص35

[2] المصدر نفسه،ص53

[3] أوريدة عبود، المكان في القصة الجزائرية الثورية،،ص08

فهذا المكان يسترعي اهتمام الحاج بدءا من دخوله :«بالنسبة للناس البسطاء من هذا المكان يبدأ الحج إلى الأراضي المقدسة»[1]

فقبل الوصول بمسافة قصيرة يتخلى الحاج عن ملابسه العادية ويرتدي لباس الاحرام ومن هنا تبدأ الحياة التعبدية ، بحيث ينسى كل ما يتعلق بالحياة الدنيوية ويهتم فقط بالعبادة وطاعة الله عز وجل.

البحر: البحر كمكان مفتوح :«كالمعبد، فهو فضاء مشاع تستوي فيه الناس، ويمكنك أن تأوي إليه متى شئت ، وتكثف حضور ذاتك فيه لأنه يدعوك إلى التأمل والانكفاء على النفس.»[2]

فالبحر بالنسبة لإبراهيم مكان لمؤانسة أحزانه، وهو بمثابة الفاصل الذي سينقذه من معاناته والحياة السابقة التي كان يحياها ،ليبدأ حياة جديدة مفعمة بالتقوى والإيمان :«قد أبحر في عرض البحر، وإبراهيم متكئ على المترسة يستنشق نسيم البحر، ويتأمل بإعجاب الموج وهو يصطدم بجنبات السفينة.»[3]البحر كمكان مفتوح:« يرسم جسد الحياة وروح الموجودين فيها، ويقدم للإنسان جزءا من تداعيات التفاعل وومضاته التي تحرك الأحداث ونومها تحت نسيج من العلاقات الاجتماعية، كما أنه يمزج بين الماضي بالحاضر والحياة بالوجدان فالعلاقة بين البحر والانسان هي علاقة الذكرى والكدح هي معانقة الفرح والحزن هي السعادة وحب الحياة.»[4]

---

[1] مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء،ص41

[2] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة،ط1، تونس،2000،ص263

[3] مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ص92

4 ينظر مهدي عبيد،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه،منشورات الهيئة العامة السورية،وزارة الثقافة،ط1،دمشق،2011ص141

الفصل الثالث:

دراسة سوسيو نقدية لجوانب الحياة الاجتماعية والدينية

I/موقف الكاتب في المجتمع الجزائري

1-القيم التي يدافع عنها:

يركز "مالك بن نبي" كثيرا عن أهمية القيم الإسلامية وهوية المجتمع فهي عامل مهم في طريق النهضة:«والرجوع إلى القيم الدينية وتغيير ما بالنفس من آثار الانحطاط....ومن الخمارات الحقيرة إلى مواطن أكثر طهارة وفائدة.»[1]

فالفرد المسلم عندما يتعرض لمثل هذه الحالة وتغلق في وجهه كل السبل عليه أن يلجأ إلى الله عز وجل والدعاء له مثلما هو حال "إبراهيم" :« رفع يديه متضرعا ،وقد فاضت عيناه بالدموع ...ورفع بصره إلى السماء متمتما، يا رب اشفني من شروري فأنا مريض، اهدني سواء سبيلك فإني ضال.» [2]فأبواب التوبة مفتوحة في كل لحظة.

تمسك المؤمن بقيمه الإسلامية وتعلقه بمكة ، وهذا ما يظهر في رحلة الحج بطلب الدعاء من أقرباء الحاج:« أدع لنا عند قبر الرسول، آه كم أتمنى أن أموت هناك، حينما يتبادل الناس مثل هذه العبارات ، كم من أعين للشيوخ والعجائز تفيض بالدمع.»[3]

حيث نلفي في مثل هذه العبارات عما تكنه النفس المؤمنة من حب وتعلق شديد بهذا المكان، فكل شخص مؤمن يتمنى زيارة هذا المكان، بعد مرور مدة ثلاثة عشر قرن وما زال المجتمع محافظ على قيمه الدينية ومتمسك بها، وفي كل عام تتكرر مثل هذه الشعيرة.

---

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة،25

[2] مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء،ص54

[3] المصدر نفسه، ص30

فمن خلال هذه المقاطع الروائية يتضح بأن الكاتب يركز على نقطة مهمة وهي العنصر الديني ،بحيث أن الإيمان العميق بالمبدأ الذي يعتنقه المسلم هو نقطة البدء، الإيمان الذي يعطيه قوة فوق قوته، فيتغلب على المصاعب التي قد تعترضه :«فالإيمان هو المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية.»[1]

:«كان يشعر بأن قوة الصلاة الخفية والغامضة قد حملت روحه في هذه اللحظة إلى جنة لم يستطع أن يحدد شكلها، غبطة بالغة.»[2] هذا الإيمان يصنع المعجزات عندما تختفي الأنانيات ويشترك الجميع في بناء الحضارة.إضافة إلى الفكرة الدينية التي تشترط سلوك الانسان حتى تجعله قابلا إلى أرسال رسالة.

فنجد رؤيته تميزت بالعمق والشمول، ويظهر الإصلاح والنهوض عنده بتغيير الفرد لنفسه، :«والتغيير الأهم ينطلق من الفكر، وهو الذي يشد انتباه قرائه إلى البعد النفسي والاجتماعي لقانون التغيير.» [3] كما جاء في الآية القرآنية :«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.»[4] والتغيير الأهم ينطلق من الفرد ذاته.

هذا ما جسده مع شخصية "إبراهيم" و"وهادي" الذي قررا تغيير سلوكهما وتصرفاتهما إلى ما يتناسب ومقومات المجتمع الجزائري وتعاليم الدين الإسلامي ،بعد حادثة المنام الذي حدثت معه فهو يرى بأن فاعلية الفرد مهمة في إحداث تغييرات في المجتمع :«فعالم الأشخاص هو العالم المهم في تشكيل المحيط الاجتماعي للفرد، بحيث يظهر تأثيره فيه بتحديد سلوكه،

---

[1] مالك بن نبي،وجهة العالم الإسلامي،دار الفكر(دمشق)ط05ص27،

[2] مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء،ص121

[3] مقال،د.خالد النجار، شبكة الألوكة، ص08

[4] القرآن الكريم،سورة الرعد، الآية11

وتميزه من ناحية ثقافته.»[1] فالتغيير عنده يتم على مستوى الأفكار بالدرجة الأولى لا على المستوى المادي.

وإذا كان "إبراهيم" السكير قد تاب وعاد إلى الحياة الطبيعية، والحياة العملية، ليشتغل في حمام يبيع المشروبات، فالعمل وإن كان بسيطا فإنه يلقي بثماره ليس على الفرد وحسب بل على المجتمع ككل مدعما بنزعة تحد يخالجها نبذ للعوامل الداخلية والروح الانهزامية وقلة الفاعلية، وهذا ما اصطلح عليه "مالك بن نبي" بالمنطق العملي:«فتجب مراعاته باعتباره ضروريا لإحداث التغيير في المحيط الاجتماعي، حيث يتطور الانسان، فالمنطق العملي يكيف صورة النشاط، وأسلوبه ونسقه، وجميع أشكاله الديناميكية.»[2]

فالعقيدة وقود الدين ،فهي عامل إبداع وتأثير على المستويات:«فالمسلم لم يتخلى مطلقا عن عقيدته،فلقد ظل مؤمنا متدينا،ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها،لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي فأصبحت جاذبية فردية.وعليه فليست المشكلة أن نعلم المسلم العقيدة هو يملكها،وإنما المهم أن نرد هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الايجابية وتأثيرها الاجتماعي.»[3]

بالإضافة إلى وصفه لرحلة الحجيج وهم على متن الباخرة ، وصفاء شبكة العلاقات الانسانية في عفويتها، فهم يتمتعون بجو كله محبة وتعاطف :«نشأت بين الحجاج روح الجماعة التي زادتهم ترابطا أعلنوه في عبارة(الحجاج المغاربة).»[4]وهذا ما أطلق عليه بالتوجيه الأخلاق ونعني بها :«قوة التماسك اللازمة للأفراد مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة

---

[1]مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر(دمشق)،ط18،ص60،

[2]مالك بن نبي،مشكلة الثقافة،ص111

[3]مالك بن نبي،وجهة العالم الاسلامي،،ص54،

[4]مالك بن نبي، ليك حج الفقراء،ص133

في أصلها بغريزة الحياة في جماعة عند الفرد.» [1]هذه القوة هي التي استطاعت بناء المجتمع الإسلامي الأول، والمجتمع الذي يريد تكوين حضارة، يجب عليه أن يستخدم نفس الغريزة بشرط أن تكون ذات روح خلقية سامية ليجتمع أفراد المجتمع مع بعضهم البعض كما يشير ذلك القرآن الكريم:« وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم.»[2]

:« فنجد بين ما توحي به هذه الآية، وبين معنى كلمة دين ((relagionفي أصلها اللاتيني فهي تعني هنالك الربط والجمع.»[3]

أراد "مالك بن نبي" أن يؤكد بأن المجتمع الجزائري وقيمه الراسخة والمتجذرة في نفسيته ، ليس من السهولة طمسها، بالرغم من محاولات المحتل من هدمها وتغييرها ،إلا أن المجتمع الجزائري بقي متمسك محافظ عليها، وهذه القيم هي التي ستحمي حضارتنا من الذوبان والاضمحلال. بالإضافة إلى إعادة النظر في علاقاتنا الاجتماعية من حيث أنها بدأت في التشتت والتفرق، وأن نكون وحدة متمسكة متحدة مع بعض بعيدا عن العنصرية والجهوية، لنبني حضارة جديدة.

2/صور الانحراف والضياع:

يصور لنا "مالك بن نبي" في روايته حالة "إبراهيم" السيئة وضياعه بسبب الخمر ونظرة الناس تجاهه وهذا ما يظهر في كلام شخصية " العم محمد" :«أنت مسكين يا

---

[1]مالك بن نبي،شروط النهضة،ص88

[2]القرآن الكريم،سورة الأنفال،الأية63

[3]مالك بن نبي، شروط النهضة،ص88،

إبراهيم، أنت لا تشعر ذكرى والديك اللذين كانا مؤمنين تقيين، كانا يريدان أن تكون شيئا آخر غير الذي أنت عليه الآن.»[1]

ويذكر لنا أيضا المعاملة السيئة من قبل زوجته له :« أحس إبراهيم بأنه محتقر من قبل "زهرة" التي تبدو وكأنها لا تعيره اهتماما كافيا، مثلما التي تعيره للعصفور.»[2]

فالكاتب يجسد لنا معاناة "إبراهيم" والحالة النفسية التي يعيشها بسبب المعاملة التي يتلقاها من زوجته خاصة ومن باقي أفراد مجتمعه عامة. بسبب انحرافه عن قيم المجتمع.

فالفرد الذي يبتعد عن قيم مجتمعه ويتأثر بقيم الأخر، هو شخص منبوذ من قبل أفراد مجتمعه، مثلما هو حال شخصية "إبراهيم" فمعاملة الناس له.

أصبحت تؤرقه وتشعره بالخزي تجاه نفسه، وشيئا فشيئا بدأ يستدرك أمر خطأه ، إضافة إلى قصة المنام التي حدث معه وكانت السبب الرئيسي في تغييره، عاد للاندماج في المجتمع.

تعرض حياة "إبراهيم" في فترة حياته التي قضاها في السكر والعربدة ، بعدم الاحترام والإهانات:« فقد كان جيرانه يديرون وجوههم عند لقائه، وكانت جاراته يختفين عند دخوله وخروجه، لقد كان(فوق القلوب)، أي لا يحبه أحد باللهجة العامية.»[3]

إضافة إلى السخرية التي كان يتلقاها من قبل الأطفال في الشارع:«فعندما يحكم الوسط الاجتماعي على شخص ما، فالأطفال هم الذين يصدرون الحكم بشراسة فينعتون المجنون بالمجنون والسكير بالسكير ...السخرية التي يعير بها في الشارع(يا بوقرعة).»[1]

---

[1] مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء،ص34

[2] المصدر نفسه،ص48

[3] مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء،ص78

فالخمر والسكر أوصلاه إلى حالة الضعف والاستكانة لدرجة الشفقة عليه من جهة وهذا ما حدث له مع "العم محمد" ومن جهة أخرى نظرة الناس له بنظرة استحقار ودونية .

3-انتصار الكاتب للقيم الاسلامية:

أراد الكاتب أن يوصل فكرة ترسخ القيم الإسلامية في ذوات أفراد المجتمع الجزائري،

وفي هذا الصدد يقول:«إن المسلم محفوظ من النزعات المنافية للشعور الديمقراطي الموجودة في طينة البشر بما وضع الله في نفسه من تكريم مقدس،وما جعل عن يمينه وشماله من معالم ترشد طريقه حتى لايقع في وحل العبودية أو وحل الاستعباد.»[2]

فبالرغم من ضياع "إبراهيم"في وحل السكر إلا أن صوتا في داخله بقي محافظا على عقيدته وأيقظه في لحظة من اللحظات وانتابه شعور بالطمأنينة والراحة.

:«...وتذكر فجأة أجل لقد حلمت بالكعبة...» [3]وشيئا فشيئا بدأ يسترجع شريط وقائع المنام الذي ظل يراوده من حين لآخر:« فقد رأى نفسه في لباس الاحرام اللباس الذي يرتديه الحاج خلال أدائه لتلك المناسك.»[4]

فهذا المنام ترك له عدة تساؤلات وحيرة من أمره ، فلم يستطع أن يتوصل إلى إجابة أو أن يجد تفسيرا لهذا الحلم:« ترى ماذا يعني أن أرى نفسي في لباس الاحرام.»[5]

---

[1]المصدر نفسه،ص50

[2]مالك بن نبي،تأملات،ص78

[3]مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء،ص38

4المصدر نفسه،ص38

[5]المصدر نفسه،ص39

فظلت أحداث ذلك المنام تظهر له من حين لآخر، ويصنع مشاهد تخيلية أنه برفقة الحجيج :«اتجه بعفوية نحو الشمال باتجاه المسجد الذي لاحت له منارته السامقة في سماء لونها خبازي امتزج بلون وردي باهت.»[1]كان المسجد أول مكان يذهب إليه في تلك اللحظة التي أحس أن حياته تغيرت.

وفي طريق عودته علقت بأذنه أحاديث المارة والتي كان موضوعها موعد رحلة الحج :«كان يبرق وميض في عيني ابراهيم. لقد وجد أخيرا تفسيرا لحلم الليلة السابقة.»[2]

فشخصية "إبراهيم" تمثل فئة من بعض فئات المجتمع وهي التي حادت نوعا ما عن قيم وأصالة المجتمع الجزائري متأثرة بقيم المجتمع الفرنسي ، ولكن في لحظة من لحظات تستدرك هذا الأمر، وتعود إلى ما نشأت عليه.

مثلما هو حال "إبراهيم" الذي:«حاول جادا أن يتخلص من هذا الإحساس بالألم...حين أدرك حالته الراهنة والأشياء القاتمة التي كانت تحيط به.» [3]

فقوة الدين تشد دائما أفراد المجتمع لتعيدهم نحو تلك القيم، فمهما ابتعدوا عنها وتأثروا بقيم أخرى بعيدة كل البعد عن قيمهم الأصيلة، فإن رجوعهم إليها لا محال :« فجأة انطلق صوت مؤذن الفجر ...سمعه كمن أيقضه من سبات عميق دام لسنوات عديد، هذا الصوت أيقظ فيه أصداء بعيدة.»[4]

---

[1]مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء،ص53

[2]المصدر نفسه،ص55

[3]المصدر نفسه،ص42-43

[4]المصدر نفسه،ص50-51

العنصر الديني يساهم في تكوين شخصية الفرد فنجده مهما ابتعد عن قيمه نتيجة تأثيره بقيم الغير، إلا أن ذلك الشعور الكامن في نفسيته يظهر فجأة ويحدث التغيير.

فنجده في كتابه "ميلاد مجتمع" وبالتحديد في فصل العلاقات الاجتماعية وعلم النفس، يتحدث عن أهمية العنصر الديني:« وكيف يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد.»[1]إدراك الخطأ والندم عليه من بين القيم التي نشأ عليها المجتمع الجزائري مثلما حدث مع "إبراهيم" الذي:« فاضت مشاعره، ومسح دمعة من خده.»[2] متأثرا من المعاملة الجيدة من قبل جيرانه، الذين دعوه ليودعه على رحلته، بعدما كانوا لا يعيرنه اهتماما ولا احتراما.

II/منهج الكاتب في الرواية

1-موضوعاتية الرواية

الأبعاد الاجتماعية: «إن الأبعاد الاجتماعية للرواية التي قد نلمسها في شبكة العلاقات الاجتماعية، والتي تعرف عليها "إبراهيم" في المركب، نجد فيها مختلف شرائح المجتمع بمختلف مستوياتهم وخلفياتهم، حتى جنسياتهم، كما وثق الكاتب أسلوب حياتهم في العيش في حقبة من الحقب الزمنية، بالرغم من أن روايته جزائرية في أغلب أحداثها، هذه الشبكة التي اهتم بها المؤلف بإتقان وحرص على إبرازها وإظهار مدى التعايش الذي كانت عليه ، في مشاهد تصور لنا مدى صفاء ونقاء شبكة العلاقات الانسانية في عفويتها وبساطتها ،

[1]مالك بن نبي، ميلاد مجتمع،دار الفكر 2019،ط18،ص40

[2]مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء،ص66،

كما أراد أن يبديها لنا من خلال ماكان يقصه علينا في شهادته، وإن كان يكتب للعالم الاسلامي لكنه ظل نموذجا في أصالته ووطنيته.»[1]

والحقيقة أن المتأمل في المعاني الكبرى للرواية ككل، يلاحظ من خلالها أن المؤلف عمد عن قصد، إبراز هذا الجانب الروحي في الإنسان وفي محيطه الذي يتجاوز التفسير الظاهري للأشياء .

:«أمّا المنهج الذي سلكه في الرواية، فنجد أنه يستمد أصوله وجذوره من تأمّله الطويل في (غريزة التدين في فطرة الإنسان)، فمن خلال هذا المنهج أمكن لمعاناة "بن نبي" أن تستلعن لنا وتقف ماثلة أمامنا عبر روايته.»[2]

إن فكرة التوبة في حد ذاتها جاءت بشكل مفاجئ وغير متوقع، وكذا بدون أي أسباب مباشرة لرجل كان يبدو ميؤوسا منه، بدليل تلك الدهشة التي كان يقابل بها خبر توبة "إبراهيم"، والأكثر من ذلك خبر ذهابه إلى الحج،وهذا ماجاء على لسان "إبراهيم"«أجل إن الله قوي قدير،يهدي إلى طريقه من يشاء.»[3] فهي فكرة لا تخضع إلا للمنطق الروحي، على اعتبار "مالك بن نبي" اتخذها كمركز أساسي في بناية روايته.

كما لم يفوت "بن نبي" فرصة تصوير مشهد يلفتنا فيه إلى عقيدة الأخر.

---

[1] دراسة أجراها المترجم زيدان خوليف بعنوان"عقيدة الآخر عند مالك بن نبي، مجلة مغرب،2004/04/1م

[2] واكي راضية،قراءة في رواية لبيك حج الفقراء،للمفكر مالك بن نبي(جامعة زيان عاشور) الجلفة،ص215

[3] مالك بن نبي،لبيك حج الفقراء،ص58

من خلال الحوار الذي دار بين "إبراهيم" والبحار الفرنسي. الذي تطفل على الحجاج بفضول دفعه ليعرف شعورهم وهم على متن هذه الرحلة لأداءهم مناسك الحج، هذا بعض من الحديث الذي دار بينهما.

:«أنتم أيها المسلمون لا تأكلون الخنزير ولاتشربون الخمر ،أمحمد هو الذي يمنعكم؟..

ليس محمد من منع الخمر والخنزير بل إن الله هو الذي قد حرمها على المسلمين.

أجل ولكن محمد هو من قال لكم هذا، فأنتم لم تسمعوه من الله.

ليس محمد ولا الله...لكن الرب هو الذي قرر المنع.ارتبك البحار وسأله بجدية: إذن فبالنسبة لكم الله والرب ليس لهما المعنى نفسه؟؟.

بالنسبة ؟'إلي نعم ولكن إليكم فالأمر ليس كذلك، عندما تقولون الله يذهب بكم تفكيركم إلى صنم يعبده المسلمون، ولكن حين تقولون الرب فسيتبادر إلى أذهانكم الشيء نفسه عندما نقول نحن(الله).»[1]

ليتكفل بإنقاذ مساره أحد المثقفين الجزائريين، بعد أن فقد "إبراهيم" القدرة على ذلك، وكأنه يريد أن يعبر عن قيمة من القيم الدينية العظيمة وهي الدفاع عن دينه ولو بأجوبة عفوية صريحة ،جسد المشهد ذلك الجو الودي المتفاهم بين المسلم ومن خالفه في عقيدته على اختلاف المبادئ ووجهات النظر.

:«فعكس هذا المشهد كما يرى فيه مترجم الرواية (زيدان خوليف) ذلك الجوّ الودّي المتفاهم بين المسلم ومخالفه في عقيدته، على اختلاف المبادئ ووجهات النّظر، لكنّنا نجده كذلك

[1]مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ص104-106

يعكس من جهة أخرى أهمّ ما شغل ذهن مالك آنذاك، وهو مشهد شباب الإسلام الذين استهوتهم ،« الظاهرة القرآنية » المناقشة الخطيرة بين الدّين والعلم، الذي كان زبدة ما اهتمّ به في كتابه."[1]

فهو أراد من خلال روايته أن يمس ذلك الجزء المهم من القيم والعادات الجزائرية التي لاتبتعد كثيرا عن القيم الاسلامية، فهي جزء نابع من عمق الروح الجزائرية وشخصيتها المنتمية إلى تراث الثقافة والحضارة الاسلامية، وخصوصا في تعاملها مع أعظم شعيرة في الدين الاسلامي .

كما أكد شيئا آخر وهو أن :«القيم يمكن أن تكون حامية للشخصية ومكوناتها، وهي بدورها التي ستحمي الحضارة من الذوبان والاضمحلال، ومن هنا يتضح للمتلقي مدى قدرة الدين ودوره وحتى تأثيره في الإنسان، وفاعليته التي تشد الفرد حتى تعيدهم إلى تلك القيم مهما ابتعد عنها.ومهما أثرت فيهم الدعوات المادية الفجة.»[2] وهذا ما حصل مع "إبراهيم" تماما فهو مثل العودة إلى الروحانية والصفاء بفعل نداء "لبيك".

كما لم ينسى الكاتب أن يشير إلى وضع المرأة الجزائرية والمسلمة عموما في أحداث الرواية، فمعاناة "زهراء" زوجة "إبراهيم" لم تكن مجرد صبر يطاق لبضعة أيام من العمر، فهي كانت الأم والزوجة والأخت لزوجها في آن واحد.الوفية حتى ولو كان سكيرا كحال "إبراهيم" إلا أنها تريد له الصلاح والخير دائما .

---

[1] أ. واكي راضية،قراءة في رواية لبيك حج الفقراء،ص212

[2] عمر مسقاوي، مقاربات حول فكر مالك بن نبي، دار الفكر(دمشق)،ط1، 2008،ص65

:«رغم كل الصعوبات والعراقيل التي واجهتها في حياتها الزوجية، إلا أنها بقيت وفية لزوجها وتكن له الحب والاحترام، خاصة وأنه كان وحيد الأبوين، فبقيت على طبيعتها تتمنى له الخير والهداية.»[1]

إلا أن تماديه في سلوكه بصورة مستمرة جعلها تحسم حياتها التي لاتحتمل وتركت أمر زوجها لعمه هو من يتدبر أمره.

2-رؤية العالم في الرواية:

لقد استطاع "مالك بن نبي" أن يصور لنا حياة مسلمة مختلفة تماما عما هدف إليه الاستعمار.

واتجه إلى النواحي الإيجابية المتبقية من الحياة الجزائرية، وأعطاها دفقا قويا، وحياة جديدة للعبور والنجاة والعودة إلى المحضن الحضاري الصحيح، وهو الأمة الإسلامية.

ونجد من خلال الأحداث أنه يركز أكثر على أسباب الانحطاط، وفيها تطرّق بحسّه السّليم إلى القيم والتراث الذي يحرّك مجتمعًا كالمجتمع الجزائري. وبيّن كيف يمكن لنا من خلال ذلك العالم الثقافي أن نصل إلى استعادة المجد القديم الذي افتقدناه.

لذالك إختار "مالك بن نبي" موضوع الندم والتوبة، ليكون موضوعا رئيسا لروايته ، و ركزت روايته على قصة رجل من أصول شريفة، لكنه لسبب من أسباب انجر وراء الخمر، نتيجة احتكاكه وتأثره بسلوكيات المستعمر، وفي ظرف ليلة واحدة تمكن من العودة إلى الطريق المستقيم.

---

[1] تقديم زيدان خوليف في(رواية)، ص19

:«ولم يجد الكاتب في هذه الرواية حاجة الإطالة في وصف المرحلة الانتقالية التي مر بها "إبراهيم" إنها معجزة التدين والإيمان قد وقعت على الفحام، إنها رحمة الله نزلت على تائب منيب.» [1]فمن خلال أحداث القصة أراد الكاتب أن يبرز عظمة القيم الاسلامية ومدى تأثيرها على شخصية الفرد المسلم، فمهما حاد وابتعد عن القيم التي نشأ عليها ،فإنه في لحظة صغيرة يدرك خطأه ويعود إلى ما فتئ عليه ،فمرحلة السكر والانحراف التي مر عليها أثرت على نفسيته لأنه وجد تناقض بين ما تعلمه فيصغره وغاص في أعماقه وبين ما يعيشه حاليا ،وهذا ما يظهر في قول الكاتب:« لقد كان ابراهيم، على سوء تعرجات حياته، يحافظ على الروح الصوفية التي ورثها عن السلالة الصالحة لأسلافه.»[2]

بل إنه كان ليؤكد من خلال روايته شيئًا أكثر من ذلك، وهو أنّ :«هذه القيم بإمكانها أن تكون حاميةومنجية للشخصيّة ومكوّناتها، وهي التي ستحمي حضارتنا من الذّوبان والاضمحلال،ليعُدّ دورالدّين لا في أصالة فكرته ،ولكن في فاعليته التي تشدّ دائمًا أفراد المجتمع، لتعيدهم نحو تلك القيم مهما ابتعدوا عنها.»[3]

وفي مشهد أخر يصف مشاهد الأخوة بين الحجيج أثناء الرحلة التي لم تخل من الود والتفاهم على اختلاف وجهات النظر .فالإسلام يقوم على أسس التعايش بين فئات البشر مع اختلاف أعراقهم، ويدعوا الفرد إلى الترابط والتمسك:« ليتعلم كيف يعيش في جماعة ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية.»[4]

---

[1]نور الدين بوكروح،مالك بن نبي"لبيك" رواية روحية،08/02/2016،00:03،

[2]مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء،ص39

[3]واكي راضية،قراءة في رواية لبيك حج الفقراء،ص218

[4]مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص88

ومن الخطأ الاعتقاد بأن فضائل الأخلاق في حياة "بن نبي" وفلسفته ليست إلاّ وسيلة للإثارة الوجدانية. فقد كان يكره الإغراق في النزعة الأخلاقية كما يكره النزعة السوداوية. وللقيم الأخلاقية في فكره وظيفة أساسية في الحياة، فهي الطاقة المُحرّكة للتاريخ. وهي التي تزوِّد الفكرة بالقوة الرافعة، وتخلق الضغط في نفسية الإنسان لكي ترفعها إلى مستوى التحدِّيات الكبرى.

:«هذا ما تحكيه الرواية ببراعة وإتقان، ليبدع راويها في التصوير الرمزي بطريقة أو بأخرى حال الأمّة الضائعة، وهي تتلمّس طريق الهداية، وتخطو خطوات البداية بصفاء نيّة وإصرا ر على الوصول. إنها الخطوات الأولى لتباشير الصبح الجديد الذي يأمله مالك بن نبي للعالم الإسلامي بعد أن نزع عنه لباس الاستعمار، والذي حرص من خلال فكره في البحث عن كل ما يمكن له أن يتلقفها لينهض بها من كبوتها المزمنة، لتدخل من جديد في مضمار الحضارة.»[1]

[1] أ.واكي راضية، قراءة في رواية لبيك حج الفقراء،ص215

خاتمة

خاتمة:

وبعد دراستنا للرواية استخلصنا مجموعة من النتائج التي تلخص محتوى المذكرة وتثمن جهودنا المتواضعة:

1-دعا "مالك بن نبي" إلى ضرورة التغيير الذي يكون على مستوى الأفكار قبل أن يكون على مستوى الواقع المعيش .أي التغيير الذي يكون نابع من الذات.

2-يرى بأن المبدأ الأخلاقي هو الشرط المهم في تحديد الصلة بين الأشخاص،وتحقيقه لقوة التماسك الاجتماعي.

3-دعا إلى ضرورة التمسك بالقيم الدينية،لأنها تعتبر الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارة،ومرجع تستند عليه الأمة في أمورها الحياتية.

4-من أهم ما ركز عليه "مالك بن نبي" هو تجديد الصلة بمقومات الدين الاسلامي،ويبين مدى تأثير الفكرة الدينية في خصائص الفرد النفسية.

5-إن المفكر الموجود في شخص "مالك بن نبي"أفضل بكثير من الروائي لأن الرواية مستواها بسيط يمكن تسميتها بقصة قصيرة.مقارنة بعمق ماقدمه المؤلف من كتب فكرية.

6-استطاع الكاتب أن يخلص شخصياته من دونيتها و يأخذنا في رحلة لتغيير النفس وتطهيرها من دنس الخطايا،ليختار "إبراهيم" ترك حياته السابقة والذهاب برحلة الخلاص والتوبة، بالإضافة إلى "هادي" الذي تحول من متسول ساخر إلى حاج صغير.

7-إبراز مدى تمسك الجزائري بقيمه وأصالته،رغم محاولات المستعمر في طمس هويته،والظلم الحالك الذي كان يرزح تحته آنذاك.

8-عالج الكاتب فترة حساسة في تاريخ الجزائر،ليصيغ ببراعة مثالا لجيل بسيط إبان الاستعمار الفرنسي. عانى صراع العقيدة المتجذرة في النفوس ومقوماتها الأخلاقية مع معطيات الحضارة الغربية وتداعياتها.

9-مهما حاد الإنسان عن الطريق المستقيم،ولكنه ينحدر من بيئة مسلمة تقية نشأ فيها على طاعة الله وعلى العبادات.تبقى بذرة صالحة في أعماق قلبه تنتظر أن يعيد نفسه فيها لتنبت من جديد .

10-نجد "مالك بن نبي" بأنه ينطلق من الإسلام،ويؤكد بأنه الأساس في تحقيق النهضة في العالم الإسلامي عموما والجزائر خصوصا.

11-دعا إلى ضرورة الانتقال من وضع أدنى إلى وضع أعلى وأفضل بالنسبة للمجتمع الجزائري حديث العهد بالاستقلال.

12-يمكننا اعتبار هذه الرواية رسالة،اختار"بن نبي" أن يبثها للجيل القادم ،الذي يريد منه أن يعرف منذ بداية خطواته الأولى،إلى أي هدف بعد قد انطلق.

13-بالرغم من بساطة هذه الرواية إلا أنها تحمل في دواخلها المعاني الحضارية العميقة التي لا يتاح لنا معرفتها إلا من خلال ربطها بخيوط فكر"مالك بن نبي".

14-أراد أن يوضح للقارئ كيف يتاح للفكرة الدينية أن تبني الانسان حتى يقوم هو بدوره في بناء الحضارة.

15-حرص "مالك بن نبي" بدراسة مشكلات العالم الإسلامي وتحليله بغرض الكشف عن أصل الداء وإيضاح طريق الدواء، مع ربط مشكلة التنمية في العالم الإسلامي بالإسلام.

16-"أراد مالك بن نبي" أن يؤكد، بأن القيم الدينية للمجتمع هي التي ستحمي الحضارة من الاضمحلال فدائما تشد أفراد المجتمع لتعيدهم ،مهما أثرت فيهم الدعوات المادية الفجة.

الملاحق

1 ملخص الرواية:

تعتبر رواية "لبيك حج الفقراء" إحدى إبداعات "مالك بن نبي" رحمه الله ،وكما جاء على لسان تلميذه"عمر مسقاوي" بأنها قصة :"رسمت عمق الروح الجزائرية وشخصيتها المنتمية إلى تراث الثقافة والحضارة الاسلامية المنشدة على منازل الوحي."

ففي هذه الرواية ذات الأحداث البسيطة، استطاع "مالك" أن يقدم لنا وصفاً للمجتمع الجزائري ببساطته وأصالته ومحافظته على هويته وتراثه ودينه رغم كل المحاولات الفرنسية لطمس هذه الهوية وحرف الشعب عن فطرته وانسانيته .

تجري وقائع رواية جزءا منها في مدينة عنابة ، يتحدث فيها الكاتب عن هذه المنطقة، ويعرف بأهلها والاحتفاء بموسم الحج ،والجزء الأخر يصف فيها الكاتب رحلة الحج على متن الباخرة، بالإضافة إلى أحداث الرواية الأخرى، وهي عبارة عن قصة مرتجلة لبطلين هما "ابراهيم" و "وهادي" ومغامراتهما في تحقيق مرادهما ، وهو الذهاب إلى الحج، وهما شخصيتان مجسدة من طرف الكاتب، تحاكي الواقع المعيشي في الجزائر وتلامس عدة قضايا اجتماعية، بالنسبة لشخصية "ابراهيم، فهي شخصية منحرفة بعيدة كل البعد عن قيم وأصالة المجتمع الجزائري، حيث نجده يعاني من السكر والعربدة، فأثرا على نفسيته من جهة لشعوره بنوع من الدونية وعقدة النقص، وعلاقته بأقربائه وجيرانه من جهة أخرى، حيث كان يتلقى الإهانة والسخرية من قبلهم، وفي ليلة من الليالي تراءى له حلم وهو في لباس الإحرام ، وعند استفاقه من نومه انتابه شعور بالراحة والطمأنينة، دون أن يدرك كنهه ،فما كان عليه إلا أن يتوب ويتخلص من الأشياء التي أرهقته طوال هذه السنوات في حياته، وهو أن يذهب إلى الحج، من هنا نلاحظ بأن الكاتب مارس عملية التطهير لكي يخرج الروح الفاسدة من "ابراهيم" السكير على أن يجعلها روحا جديدة تتصف بنقاوة الروح وصفاءها الداخلي، وكأن

المؤلف أبى إلا أن يضيف إلى المعجزة المفاجئة التي حدثت للبطل وقلبت حياته رأسا على عقب من الضلال إلى الهداية ومن الإدمان إلى التوبة النصوح.

بالإضافة إلى الإجراءات المتخذة للرحلة قد تمت بطريقة أسهل في مدة قصيرة ، وكأن المؤلف أراد بهذا أن يقول أن الله كافأ "إبراهيم" على إخلاصه وصدق نيته، فبعث له العم "محمد" والمصور الذي فتح دكانه قبل موعده المعتاد من أجل أن ينجز له الصور المطلوبة، ليكونوا له جميعا عونا وسندا.

أما بالنسبة لشخصية "هادي" فهي أيضا شخصية تشترك مع شخصية "ابراهيم" في رغبة الذهاب إلى الحج فنجده يتحدى رفاقه ويصعد إلى مركب الحجيج خفية، فيتلقى هو الآخر مشاكل وعوائق من قبل صاحب المركب بحيث يمنعه من الذهاب معهم ، لكنه في النهاية يحقق مراده ويحج هو الآخر بعزيمة أقوى. إضافة إلى مغامرة الحاج التونسي الذي منع من الحج لسبب من الأسباب في الإجراءات اللازمة للذهاب إلى الحج ،في واقعة شغلت الصحافة التونسية آنذاك.

فنلاحظ أن هذه الشخصيات الثلاث تشترك في نقطة واحدة وهي التعلق والتمسك بالقيم الدينية.

2/تعريف المفكر الجزائري مالك بن نبي:

المولد والنشأة:

ولد مالك بن نبي في 1يناير 1905م في مدينة قسنطينة بالجزائر، وسط أسرة متواضعة متدينة، وكان أبوه عمر موظف بإدارة مدينة تبسة، وكانت أمه زهيرة تعمل في الحياكة.

تعرف خلال إقامته في باريس على فتاة فرنسية أسلمت على يده وسمت نفسها خديجة فتزوجها لكنها لم تنجب، فتزوج مرة ثانية في مصر عام 1956م.

الدراسة والتكوين:

التحق في تبسة بكتاب تحفيظ القرآن الكريم لمدة أربعة سنوات بالتوازي مع دراسته في المدرسة الفرنسية، إلى أن أتم تعليمه الابتدائي والإعدادي.مكنه تفوقه الدراسي من الحصول على منحة لمواصلة الدراسة في مدينة قسنطينة التي كانت معلما للثقافة العربية والإسلامية قبل الاحتلال .وهناك بدأ يتعلم الثقافة الفرنسية

ولما أنهى تعليمه الثانوي عام 1925م سافر إلى فرنسا لكنه عاد إلى الجزائر، لعدم حصوله على فرصة عمل، وفي سنة 1930م سافر إلى فرنسا مرة أخرى لمواصلة دراسته، غير أنه لم يستطع الانتساب إلى معهد الدراسات الشرقية، فتوجه إلى مدرسة اللاسلكي حيث حصل على شهادة مهندس كهرباء عام 1935م.

الوظائف والمسؤوليات:

عمل في مدينة تبسة مساعد مكتب في محكمة المدينة، وفي سنة 1927م التحق بمدينة أفلو بولاية الأغواط للعمل في محمتها، وبعد عودته إلى الجزائر عام1963م تقلد عدة مناصب أكاديمية أهمها منصب مستشار للتعليم العالي، ومدير لجامعة الجزائر ثم مدير للتعليم العالي، إلى أن استقال عام 1967م وتفرغ لنشاطه الفكري.

الوفاة:

توفي مالك بن نبي يوم4 شوال 1393الموافق ل31 أكتوبر 1973م.

مؤلفاته:

الظاهرة القرآنية 1946م .

شروط النهضة صدر بالفرنسية في 1948م وبالعربية في 1957.

وجهة العالم الإسلامي1954

الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956م

النجدة الشعب الجزائري يباد1957م

فكرة كومنولث إسلامي 1958م.

مشكلة الثقافة 1959م.

الصراع الفكري في البلاد المستعمرة 1959 م

حديث في البناء الجديد1960م(ألحق بكتاب تأملات)

تأملات1961

في مهب المعركة192م

آفاق جزائرية 1964م

القضايا الكبرى

مذكرات شاهد للقرن–الطفل1965م

إنتاج المستشرقين 1968م

الإسلام والديمقراطية 1968م

مذكرات شاهد للقرن–الطالب 1970م

معنى المرحلة 1970م

مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي1970م

دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين(محاضرات ألقيت في 1972م

بين الرشاد والتيه1972م

المسلم في عالم الاقتضاد1972م

من أجل التغيير

ميلاد مجتمع.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1-المصادر:

مالك بن نبي لبيك حج الفقراء،تر: د. زيدان خوليف،دار الفكر،ط4،(دمشق)2019

2-المراجع:

1-أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات نصر الله،دراسات أدب،بدون ط،

2-أدونيس ،الثابت والمتحول ، الجزء الثالث، دار العودة(بيروت)ط4،1983

3 أوريدة عبود،المكان في القصة الجزائرية الثورية(دراسة بنيوية لنفوس ثائرة لعبد الله الركيبي)،دار الأمل،الجزائر،2009

4-إسكاربيه،سوسيولوجيا الأدب، عويدات للنشر(بيروت)،ط3، 1999

5-جابر عصفور،نظريات معاصرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب

6-حميد الحميداني،بنية النص السردي،المركز الثقافي العربي،ط1(بيروت)

7-حميد الحميداني،في النقد الروائي والإيديولوجيا(من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص) المركز الثقافي العربي،ط 1990،1

8 روجي غارودي: البنيوية)فلسفة موت المؤلف(تر جورش طر ا بيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، سوريا،ط3،1985

9-سيزا قاسم،بناء الرواية(دراسة مقارنةفي ثلاثية نجيب محفوظ)هيئة الكتاب،ط1، 2004

10-صالح سليمان عبد العظيم،سوسيولوجيا الرواية السياسية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1998،1

11-عبد المالك مرتاض،تحليل الخطاب السردي(معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995

12-عبد الوهاب شعلان،المنهج الاجتماعي وتحولاته(من سلطة الايديولوجيا إلى فضاء النص)، عالم الكتب(الأردن)2008

13-عبد الصمد زايد،المكان في الرواية العربية(الصورة والدلالة)ط1(تونس)2000

14-عبد الله بن محمد العويسي،مالك بن نبي حياته وفكره،الشبكة العربية للأبحاث والنشر(لبنان)

15-عمر مسقاوي،مقاربات حول فكر مالك بن نبي،دار الفكر،ط1(دمشق)2008

16-لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر محمد سيلا، الأبحاث العربية(بيروت)،ط2، 1986

17-لوسيان غولدمان، تر زوبيدةالقاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة(دمشق)2010

18-لوسيان غولدمان،العلوم الانسانية والفلسفة، ، تر د.يوسف الأنطاكي، المجلس الأعلى للثقافة،(القاهرة) 1996

-19مالك بن نبي،تأملات،دار الفكر(دمشق)2009

20-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة،تر عبد الصبور شاهين،دار الفكر(دمشق)ط18، 2019

21-مالك بن نبي، ميلاد مجتمع،دار الفكر(دمشق)ط18

22-مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي،دار الفكر(دمشق)ط5

23-مالك بن نبي،شروط النهضة،دار الفكر(دمشق)ط18

24-مارتن هندلس،مفهوم النظرة إلى العالم وقيمته في نظرية الأدب،تر. عبد السلام بن عبد العالي، مجلة الآفاق،(الرباط)1982

25-محمد بوعزة، تحليل النص السردي،دار الأمان،ط1،الرباط،2010

26-محبوبة محمدي محمد آبادي، جمالية المكان في قصص سعيد حوارنية،منشورات الهيئة العامة السورية،وزارة الثقافة،ط1، دمشق،2011

27 – محمد عزام،وعي العالم الروائي"دراسة في القصة المغربية"، منشورات إتحاد كتاب العرب(دمشق)1990

28-محمد نديم خفشة،تأصيل النص(المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان)،مركز الانماء الحضاري(حلب)ط1، 1997

29-محي الدين صبحي،الرؤيا في الشعر البياني، اتحاد كتاب العرب(دمشق)دون رقم الطبعة،1986

30-مهدي عبيد،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه،منشورات الهيئة العامة السورية،وزارة الثقافة،ط1،دمشق،2011

3/القواميس والمعاجم:

31-إبن منظور،لسان العرب،المجلد الرابع عشر ،دار صادر،(بيروت)

32-إبراهيم مطفى وآخرون،المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية إسطنبول(تركيا)، بدون طبعة،

33- قاموس المحيط ،الجزء الرابع ،(مصر)، ط2

4/المجلات:

34-مجلة آفاق علمية، المجلد 11،العدد04.سنة2019(الرباط)1982

35-مجلة أهل البيت،العدد21

36-مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية،العدد25،شباط2016، جامعة بابل

5/الدراسات:

37-د.عائشة النجار،دراسة نقدية لرواية لبيك حج الفقراء

38-زيدان خوليف،عقيدة الآخر عند مالك بن نبي

39- عبد الله خلف العساف،قراءة في مصطلحي الرؤيا والرؤية

40-محمد العبدة،قراءة في فكر مالك بن نبي

41-نور الدين بوكروح،مالك بن نبي رواية روحية

42-واكي راضية،قراءة في رواية لبيك حج الفقراء للمفكر مالك بن نبي

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ

الفصل الأول: البنيوية التكوينية ورؤية العالم.....09

I.مصطلح الرؤيا ورؤية العالم.....10

1.مصطلح الرؤيا.....10

أ.لغة.....10

ب.إصطلاحا.....11

2.رؤية العالم عند لوسيان غولدمان.....13

II.منهج لوسيان غولدمان.....16

1.المصطلح والمفهوم.....16.

2.البنيوية التكوينية كمنهج نقدي.....17

III.الأسس المرجعية للمنهج البنيوي التكويني.....18

1.الفكر الماركسي.....18

2.الفكر السوسيولوجي.....19

III.أليات المنهج.....19

1.البنية الدالة.....21

2.الوعي القائم والوعي الممكن.....22

أ.الوعي القائم.....22

ب.الوعي الممكن.....23

3.الفهم والتفسير.....24

الفصل الثاني:النسق البنائي في المنهج البنيوي.....26

I.بنية الشخصية.....27

1.تعريف الشخصية.....27

أ.لغة.....27

ب.إصطلاحا.....27

2.تحليل الشخصيات.....29

أ.إبراهيم.....30

ب.هادي.....32

ج.العم محمد.....34

د.زهراء.....35

استنتاج.....36

3.إعادة بناء الشخصية.....37

II.بنية المكان.....39

1.المكان وأهميته.....39

2.علاقة المكان بالشخصيات.....40

أ.أمكنة مغلقة.....40

ب.أمكنة مفتوحة.....42

الفصل الثالث:دراسة سوسيونقدية لجوانب الحياة الاجتماعية والدينية....44

I.موقف الكاتب من المجتمع الجزائري.....45

1.القيم التي يدافع عنها.....45

ب.صور الانحراف والضياع.....48

ج.إنتصار الكاتب للقيم الاسلامية.....50

II.منهج الكاتب في الرواية.....52

1.موضوعاتية الرواية.....52

2.رؤية العالم في الرواية.....56

خاتمة.....59

الملاحق.....63

قائمة المصادر والمراجع.....69

فهرس الموضوعات.....74